المؤتمر العلمي الدولي الأول لكلية اللغة العربية بجرجا

(جرجا عبر التاريخ وجهود علمائها في خدمة العلوم الإنسانية)

١٤ - ١٥ شوال ١٤٤٦هـ / الموافق : ١٣ - ١٤ أبريل ٢٠٢٥م

الخلافة العباسية في قوص (٧٣٧-٧٤٠هـ/١٣٣٧-١٣٤٠م)

The Abbasid Caliphate in Qus (737 - 740 AH / 1337-1340 AD)

بقلم الدكتور

علي إسماعيل عبد اللاه مزيد

المدرس بقسم التاريخ والحضارة كلية اللغة العربية بجرجا

جامعة الأزهر - جمهورية مصر العربية.

العدد الثاني

الخلافة العباسية في قوص (٧٣٧-٧٤٠هـ/١٣٣٧-١٣٤٠م)

علي إسماعيل عبد اللاه مزيد

قسم التاريخ والحضارة في كلية اللغة العربية بجرجا جامعة الأزهر جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني : aliemail01148287646@gmail.com

الملخص

إن فكرة إحياء الخلافة العباسية في القاهرة سيطرت على العديد من القادة الذين حكموا مصر؛ لمكانتها الدينية والدنيوية، وبدأ هذا الأمر في عهد الأمير أحمد بن طولون، ثم جاء من بعده كافور الإخشيدي، ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل، وظل الأمر على حاله حتى سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) هذا العام الذي استطاع المغول فيه إسقاط الخلافة العباسية، ومن ثم القضاء على خليفة المسلمين آنذاك المستعصم بالله العباسي.

بوفاة الخليفة اعتقد الجميع أن الخلافة العباسية ذهبت بلا عودة وأصبح المسلمون بلا خلافة ولا خليفة، حتى جاءت الفرصة سانحة أمام السلطان الظاهر بيبرس؛ فقد وصل إليه بعض أفراد البيت العباسي والذي عُرف بعد ذلك بالمستنصر بالله، فقام بإثبات نسبه الشريف أمام القضاة وبشهادة الشهود، ونجح في إحياء الخلافة العباسية في القاهرة – الحلم الذي راود الكثير ممن سبقه في حكم مصر– آنذاك، وكان أول خليفة عباسي هو الخليفة المستنصر، إلا أنه خرج في حملة عسكرية لمحاربة التتار، لكنها أسفرت عن مقتله، ومن ثم جاء من بعده أبو العباس أحمد والذي لقب بـ الحاكم بأمر الله، وكان قد تولى من سنة (٦٥٩– ٧٠١هـ/ ١٢٥٩–١٣٠٢م)، ثم أعقبه في منصب الخليفة ابنه المستكفي بالله العباسي والذي ظل في منصبه من سنة (٧٠١–٧٤٠هـ/ ١٣٠٢– ١٣٤٠م)، قضى من بين هذه المدة قرابة ثلاث سنوات في الصعيد الأعلى حيث مدينة قوص العامرة، فقد عاش فيها، والتقى بقضاتها، وعلمائها، وكان يخطب له على المنابر حتى وافته المنية هناك، الأمر الذي جعله ينجح في الحفاظ على منصب الخليفة في نسله، وولى العهد لابنه أحمد أمام قاضي قوص، وأربعين عدلا، وبهذا يكون قد أفسد مخطط السلطان الناصر محمد بن قلاوون في تنصيب الواثق حتى وإن تولى الواثق بعض الوقت لكنه لم يستمر كثيرًا؛ وذلك لتمسك القضاة بالبيعة التي تمت في قوص، مما يؤكد أن الخليفة كان يتمتع بكافة حقوقه الدينية والسياسية.

الكلمات المفتاحية: الخلافـــــة العباسيـــــة ، قـــــــوص.

The Abbasid Caliphate in Qus (737 - 740 AH / 1337-1340 AD)

Ali Ismail Abdallah Mazid
Department of history and civilization at the Faculty of Arabic language, Al-Azhar University, Egypt.
Email: aliemail01148287646@gmail.com

Abstract:

The idea of reviving the Abbasid Caliphate in Cairo dominated the minds of many leaders who ruled Egypt, due to its religious and secular status. This began during the reign of Prince Ahmad ibn Tulun, followed by Kafur al-Ikhshidi. However, these attempts failed, and the situation remained unchanged until 656 AH / 1258 AD. This was the year in which the Mongols succeeded in overthrowing the Abbasid Caliphate and subsequently eliminating the Caliph of the Muslims at the time, al-Musta'sim Billah al-Abbassi.

With the death of the Caliph, everyone believed that the Abbasid Caliphate was gone forever, leaving Muslims without a Caliph or Caliph. This was until Sultan al-Zahir Baybars had the opportunity to revive the Abbasid Caliphate. Some members of the Abbasid family, who were later known as Al-Mustansir Billah, reached him, so he proved his noble lineage before the judges and with the testimony of witnesses, and succeeded in reviving the Abbasid Caliphate in Cairo - a dream that many of those who preceded him in ruling Egypt had at that time. The first Abbasid Caliph was Caliph Al-Mustansir, but he went out on a military campaign to fight the Tatars, but it resulted in his death. Then came after him Abu Al-Abbas Ahmed, who was called Al-Hakim bi-Amr Allah, and he took over from the year (659-701 AH / 1259-1302 AD). Then he was succeeded in the position of Caliph by his son Al-Mustakfi Billah Al-Abbassi, who remained in his position from the year (701-740 AH / 1302-1340 AD)

He spent about three years of this period in Upper Egypt, where the prosperous city of Qus was located. He lived there, met its judges and scholars, and preached for it from the pulpits until his death there, which made him succeed in maintaining the position of Caliph in His descendants, and the crown prince to his son Ahmed before the judge of Qus, and forty just men, thus spoiling the plan of Sultan Al-Nasir Muhammad bin Qalawun to install Al-Wathiq, even though Al-Wathiq took over for some time, but he did not continue for long, because the judges adhered to the pledge of allegiance that took place in Qus, which confirms that the Caliph enjoyed all his religious and political rights.

Keywords: Abbasid Dispute, Qus.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

عندما جاءت الخلافة العباسية إلى القاهرة، وتم إحياؤها؛ كانت خلافة اسمية فقط، ليس للخليفة سوى الدعاء على المنابر بداية من الخليفة المستنصر وحتى الخليفة المتوكل، إلا أن ما حدث مع المستكفي سنة (٧٣٧هـ/١٣٣٧م) كان خروجًا على ما اعتاد عليه سلاطين الدولة المملوكية منهم، فقد كان له عدة مواقف أظهرت أنه يريد أن يمارس سلطته ونفوذه كخليفة للمسلمين – من وجهة نظره – ، وقد أسفرت هذه المواقف عن توتر العلاقة بينه وبين السلطان الناصر محمد بن قلاوون استوجب على إثرها أن تحدد إقامته في قلعة الجبل، ولما توسط له بعض الأمراء أفرج عنه، إلا أن السلطان لم يستوعب جرأة الخليفة؛ مما جعله يقرر أن يرسله إلى مدينة قوص منفيًا، وقد قضى فيها الخليفة قرابة ثلاث سنوات، حيث عاش فيها، والتقى بقضاتها، وعلمائها، وكان يخطب له على المنابر حتى وافته المنية هناك، الأمر الذي جعله ينجح في الحفاظ على منصب الخليفة في نسله، وولى العهد لابنه أحمد أمام قاضي قوص، ونائبها والعدول من رجالها ، وبهذا يكون قد أفسد مخطط السلطان الناصر محمد بن قلاوون في تنصيب الواثق حتى وإن تولى الواثق بعض الوقت، لكنه لم يستمر كثيرًا؛ وذلك لتمسك القضاة بالبيعة التي تمت في قوص؛ مما يؤكد أن الخليفة كان يمارس كافة حقوقه الدينية والسياسية.

وقد جاء البحث في مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، وملاحق، وثبت للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

أما **المقدمة**: فتناولت فيها نبذة عن الموضوع وتقسيماته، ثم جاء **التمهيد**: فوضحت فيه فكرة إحياء الخلافة العباسية في القاهرة، ثم أعقبه **المبحث الأول**: وقد خصصته لمدينة قوص من حيث الموقع والأهمية، ومكانتها السياسية، والعلمية، والعسكرية، ثم تلاه **المبحث الثاني**: وأفردته للخليفة العباسي المستكفي بالله، من

حيث نسبه، وتوليه الخلافة، وعلاقته بالسلطان الناصر محمد بن قلاوون، أما **المبحث الثالث:** فقد اشتمل على توتر العلاقة بين الخليفة والسلطان، وأسباب تغير السلطان على الخليفة، ومن ثم تحديد إقامة الخليفة، ووضعه تحت الإقامة الجبرية، وجاء **المبحث الرابع:** وقد تناولت فيه إبعاد الخليفة المستكفي بالله إلى مدينة قوص، وحياته داخل المدينة لمدة تزيد عن ثلاث سنوات، والآثار التي ترتبت على إقامته في قوص، ثم جاءت **الخاتمة:** ذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات التي توصلت لها الدراسة، وأعقبها **الملاحق:** والتي اشتملت على خطابات تولية الخلافة بين الجد والابن والحفيد، وجاء بعد ذلك ثبت للمصادر والمراجع، وأخيرًا فهرس للموضوعات.

تمهيد

إن فكرة إحياء الخلافة العباسية في القاهرة سيطرت على العديد من القادة الذين حكموا مصر؛ لمكانتها الدينية والدنيوية، وبدأ هذا الأمر في عهد الأمير أحمد بن طولون(١)، ثم جاء من بعده كافور الإخشيدي(٢)، ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل(٣)، وظل الأمر على حاله حتى جاءت سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، وهو العام الذي استطاع المغول فيه إسقاط الخلافة العباسية، ومن ثم القضاء على خليفة المسلمين آنذاك المستعصم بالله العباسي(٤).

---

(١) أحمد بن طولون: هو أبو العباس أحمد بن طولون، من أصل تركي، ولد بسامراء سنة (٢٢٠هـ/ ٨٣٥م)، وتنقل في المناصب ما بين ثغور الشام ودمشق، ثم استقر في مصر سنة (٢٥٤هـ/ ٨٦٨م)، وتولى حكمها، وظل فيه لمدة ستة عشر عاماً، وقد تولى من بعده ابنه خمارويه سنة (٢٧٠هـ/ ٨٨٤م)، واستمر حكم مصر في يد أسرته حتى سنة (٢٩٢هـ/ ٩٠٥م). ابن خلكان: وفيات الأعيان وفيات أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٩٩٤م، جـ ٢، ص ٢٤٩، ٢٥٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م. جـ ١٠، ص ٢٦٨، ٢٦٩.

(٢) كافور الإخشيدي: هو أبو المسك كافور بن عبد الله الإخشيد، ولد سنة (٢٩٢هـ/ ٩٠٥م)، وقد اشتراه محمد ابن طغج الإخشيدي (مؤسس الدولة الإخشيدية)، وظل يترقى في المناصب، حتى تولى حكم مصر سنة (٣٥٥هـ/ ٩٦٦م)، ودعي له على منابر الحجاز ومصر والشام، إلى أن توفي سنة (٣٥٦هـ/ ٩٦٨م). الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، جـ ٢٤، ص ٢٣١.

(٣) الكندي: الولاة والقضاة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط الأولى، ١٩٨٧م، ص ١٧٥، ١٨٠. عبد المجيد أبو الفتوح بدوي: الخلفاء العباسيون في ظل دولة المماليك، حوليات كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر، العدد الثامن، ١٩٧٧، ١٩٧٨م، ص١٧٩.

(٤) عادل حمزة: الخلافة والسياسة في مصر عصر دولة المماليك البحرية(٦٤٨- ٧٨٤هـ/ ١٢٥٠- ١٣٨٢م)، مجلة التاريخ والمستقبل، حولية كلية الآداب، جامعة المنيا، عدد يوليه، ٢٠١٣م، ص ٣٢٤. فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، قطر، ١٩٨٧م ص ٦٩.

وبوفاة الخليفة المستعصم بالله اعتقد الجميع أن الخلافة العباسية ذهبت بلا عودة، وأصبح المسلمون بلا خلافة ولا خليفة، حتى جاءت الفرصة سانحة أمام السلطان الظاهر بيبرس؛ عندما وصل إليه بعض أفراد البيت العباسي، والذي عُرف بعد ذلك بـ "المستنصر بالله"(١)؛ فقام بإثبات نسبه الشريف أمام القضاة؛ وبشهادة الشهود(٢)، ونجح في إحياء الخلافة العباسية في القاهرة – الحلم الذي راود الكثير ممن سبقه في حكم مصر– آنذاك، وكان أول خليفة عباسي هو الخليفة المستنصر(٣)، إلا أنه خرج في حملة عسكرية؛ لمحاربة التتار، ولكنها أسفرت عن

---

(١) الذهبي: دول الإسلام، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م، جـ ٢، ص ١٨٠. العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م، جـ ١، ص٢٩٥.

(٢) بيبرس الدوادار: مختار الأخبار " تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية "، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط الأولى، ١٩٩٣م ص١٥، ١٦. ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق بالاشتراك مع بيروت، ط الأولى، ١٩٨٦م، جـ ٧، ص ٥١٤. محمود أحمد شاكر: التاريخ الإسلامي، (العهد المملوكي)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الخامسة، ٢٠٠٠م، ص٤٣. هاني حمزة: مصر المملوكية، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص١٢٨.

(٣) بيبرس الدوادار: التحفة الملوكية، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط الأولى، ١٩٨٧م ، ص ٤٧. النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: نجيب مصطفى فواز وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، ٢٠٠٤م، جـ ٣٠، ص ١٤. القرماني: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، =تحقيق: أحمد حطيط وآخرين، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٩٩٢م، جـ٢، ص ٢٠٢. إسماعيل أحمد الدردير: الصراع على السلطة في عصر سلاطين المماليك وآثاره السياسية والاقتصادية، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، أسيوط، مصر، ٢٠٠٥م، ص ١٢٧ وما بعدها. محمد جمال الدين سرور: دولة الظاهر بيبرس في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ٥٣، ٥٤.

مقتله[١]، ومن ثم جاء من بعده أبو العباس أحمد، والذي لقب بـــ " الحاكم بأمر الله" [٢]، وقد تولى الخلافة لمدة ما بين عامي (٦٥٩- ٧٠١هـ/ ١٢٥٩-١٣٠٢م)، ثم أعقبه في منصب الخليفة ابنه المستكفي بالله العباسي، والذي ظل في منصبه قرابة تسع وثلاثين عاما (٧٠١- ٧٤٠هـ/ ١٣٠٢- ١٣٤٠م) [٣]، وقد حدثت في هذه الفترة بعض التوترات على الساحة السياسية بين السلطان الناصر محمد بن قلاوون وبين الخليفة أسفرت عن نقله إلى الصعيد الأعلى، وبالتحديد إلى مدينة قوص.

(١) إسماعيل أحمد الدردير: الصرع على السلطة، ص١٣٣. جمال الدين الشيال: تاريخ مصر الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، طـ الثانية، ٢٠٠٧م. جـ ٢، ص ١٣٣.

(٢) بيبرس الدوادار: التحفة الملوكية، ص٥١. ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، طـ الأولى، ١٩٧٥م، جـ ١ ص ٣٢٠. الملواني: تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٩٦٨م، ص ٥٢. علي حسني الخربوطلي: غروب الخلافة الإسلامية، مؤسسة المطبوعات الحديثة، القاهرة، د. ت، ص ١٤٧، ١٤٨.

(٣) السخاوي: وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق: بشار عواد معروف وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، طـ الأولى، ١٩٩٥م، ص ٦٧.

المبحث الأول: مدينة قوص من حيث الموقع والأهمية

أولًا: الموقع والحدود:

يعد إقليم قوص من أهم مدن الصعيد وأقدمها(١)، فهو من الأقاليم المترامية الأطراف، حيث تبلغ مساحته بناء على ما ورد في كتاب الإدفوي – والذي خصصه لصعيد مصر ولم يذكر غيره – من حيث الطول مسيرة اثنا عشر يومًا بسير الجمال، وهو السير المعتاد، ومن حيث العرض، فثلاث ساعات وأكثر وأقل، أما من حيث حدوده؛ فيصل شرقا حتى البحر الأحمر، وغربًا حتى الواحات، وشمالًا حتى مرج بني هميم(٢) المتصل بأراضي جرجا من عمل أخميم، وتكون نهايته في الجنوب عند أسوان، وهو كورتان شرقية وغربية والنيل فاصل بينهما(٣)، وبينها وبين قفط(٤) أربعة أميال(٥).

---

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، طـ الثانية، ١٩٩٥م، جـ ٣، ص٤١٣. البغدادي: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت، لبنان، طـ الأولى، ١٩٩١م، جـ٣، ص١١٢٣. كاتب مراكشي: الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشئون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦م، ص٨٥.

(٢) مرج بني هميم: بضم الهاء وفتح الميم وسكون الياء منطقة تقع في صعيد مصر، شرقي نهر النيل. الحموي: المصدر السابق، جـ٥، ص١٠١. المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طـ الأولى، ١٩٩٨م، جـ ١، ص٣٥٠.

(٣) الإدفوي: الطالع السعيد في نجباء أهل الصعيد، تحقيق: سعد محمد حسن، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦. ص ٧، ٨ . محمد عبده الحجاجي: قوص في التاريخ الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٨٢م، ص١٥.

(٤) قفط: بكسر أوله وسكون ثانيه مدينة متوسطة المساحة، قديمة يحيط بها سور، بينها وبين قوص أربعة أميال، وتقع شرقي النيل. ابن جبير: الرحلة، دار مكتبة الهلالي، بيروت، د . ت ، ص٤٠. الحموي: المصدر السابق، جـ ٤، ص٣٨٣. كاتب مراكشي: المصدر السابق، ص٨٧. القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، لبنان، د. ت ، ص٢٤١.

(٥) البكري: المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م، جـ ٢، ص٦١٨.

كما كان يشمل هذا الإقليم من البلاد في الوقت الحالي؛ محافظة قنا، والأقصر، وأسوان، وجزء من سوهاج[١]

وتقع هذه المدينة على ساحل النيل من الجانب الشرقي[٢]، وهي مدينة قديمة محاطة بسور من الحجر، واكثر أبنيتها من الحجارة الكبيرة[٣]، وفيها آثار عظيمة، وكذلك أسواق، وحمامات، ومعاصر للسكر[٤].

وفي عصر سلاطين المماليك – زمن الدراسة – أدخل على هذا الإقليم الكثير من التعديلات ، فألحقت به مدن ومواضع لم تكن تابعة له في عصر الأيوبيين [٥]، ولذلك اتسع الحديث عنها فقد كتب عنها أبو الفدا قائلًا [٦]: " .. قوص مدينة بالصعيد، وليس بأرض مصر بعد الفسطاط مدينة أعظم منها".

وقد استفاض وأطنب في وصفها الكثير ممن كتب عنها، وتناولها من بين مدن الصعيد، ومما قيل فيها: إن قوص أكبر مدينة بالصعيد وفيها تنزل القوافل الواردة، من بحر الهند والحبش واليمن والحجاز بعد مرورها بصحراء عيذاب، وفيها كثير من الفنادق والبيوت الفاخرة والحمامات والمدارس والبساتين والحدائق ومزارع الخضروات، ويسكنها سائر أرباب الصنائع والفنون والتجار والعلماء والأغنياء وذوو العقارات والأملاك، وهواؤها شديد الحرارة[٧].

---

(١) عبد الفتاح عرابي: قوص في عصر سلاطين المماليك، ص٢٢.

(٢) اليعقوبي: البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طـ الأولى ٢٠٠١م، ص١٧١.

(٣) ناصر خسرو: سفر نامه، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، طـ الثالثة، ١٩٨٣م، ص١١٦.

(٤) البكري: المسالك والممالك، جـ ٢، ص٦١٨.

(٥) محمد عبده الحجاجي: قوص في التاريخ الإسلامي، ص١٦.

(٦) تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، د . ت . ص ١١٠، ١١١. محمد عبده الحجاجي: المرجع السابق، ص ٤٢، ٤٣.

(٧) ابن جبير: الرحلة، ص ٣٧. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار وممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، جـ٣، ص٣٨٨، ٤٨٩. ص. محمد عبد الحجاجي: المرجع السابق، ص٤٣، ٤٤.

يتضح مما سبق ذكره على لسان الرحالة والمؤرخون بأن هذه المدينة أخذت في التقدم والازدهار؛ حتى ورثت مدينة قفط في الحضارة والازدهار، وعدت من أعظم مدن الصعيد في عصر دولة المماليك.

ثانياً: سبب التسمية:

عندما تحدث ابن لهيعة عن كور الصعيد؛ قام بذكر كورة أخميم، وكذا قفط، ومن ثم قال: يليها قوص ، وقد ذكر – أيضًا – أنها سميت باسم رجل يقال له: قوص بن قفط بن أخميم بن سفاف بن أشمن بن منف، وقيل أشمن بن مصر، غير أن هذا الإقليم يعد بوابة مكة ، واليمن، والنوبة(١).

وكان العرب يسمونها وارويز، أو قوص بربير ومعناه قوص الحارة، كما كانت تعرف – أيضًا – بـــ " قوص الأقصرين"(٢).

وقيل أنها كلمة قبطية بمعنى الكفن، أو الدفن، وسميت بذلك؛ لأن أهلها كان لهم خبرة بدفن الموتى وتكفينهم، كما أنهم كانوا مختصين بدفن الملوك(٣).

ثالثاً: مميزات إقليم قوص:

عرف إقليم قوص بالعديد من المميزات التي انفرد بها عن غيره، فمن بين هذه المميزات؛ نظافة المياه، وجودتها العالية، فإن ماءه من أحسن المياه وأحلاها، وأشدها بياضًا. قال ابن حوقل في كتابه صورة الأرض(٤) : " إن ماء مصر أشد

---

(١) الإدفوي: الطالع السعيد في نجباء أهل الصعيد، ص ١٣، ١٤. ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ذخائر التراث العربي، المكتب التجاري للنشر، بيروت، لبنان، ١٩٧٨م، ص١٧٠. المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ ١، ص ٤٣٦. عبد الفتاح عرابي: قوص في عصر سلاطين المماليك، ص٢١.

(٢) عبد الفتاح عرابي: المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) المرجع السابق، ص٢٢.

(٤) ابن حوقل: صورة الأرض، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٣٨، جـ١، ص١٤٨. الإدفوي: الطالع السعيد، ص ٧، ٨ .

عزوبة وحلاوة وبياضًا من سائر أنهار الإسلام"، فإذا كان كما قال فماء إقليم قوص أجمع لهذه الصفات . يقول الإدفوي[١]:" سألت الحكيم الفاضل السيد الدمياطي عن ماء قوص كم بينه وبين ماء مصر في التفاوت؟ فقال: انتهيت في السفر في الوجه القبلي إلى (هِوّ) وبين مائها وماء مصر كماء بسكر، وماء بصرف".

كما يتميز هذا الإقليم بكثرة نخيله وأشجاره على شاطئ النيل من الجانبين الشرقي والغربي، ويشق بينهما مسافة سبعة أيام، حيث تبلغ المساحة التي عليها النخيل والبساتين قرابة عشرون ألف فدان[٢]، ومن الأشياء التي تؤكد أن هذا الإقليم من مزاياه كثرة النخيل؛ أن ابن زولاق [٣] قال عن تمرها: " أنه ليس نوع من أنواع التمر بالعراق إلا وفي صعيد قوص مثله، وفيه ما ليس في العراق".

ومن مزايا هذا الإقليم التي أعطته طابعًا خاصًا: جودة لحومه العالية، حيث إن الغالب على غنمه السواد، وهي عند الأطباء أشد حرارة، وأحلى طعمًا، ومن الأسباب التي جعلته يمتاز بهذه الميزة؛ طيب المرعى، وحسن غلاله[٤] .

كما يذكر الإدفوي عن إحدى محاسن هذا الإقليم، والتي تتعلق بنسبة الأمن داخله فيقول[٥]: " ومن محاسنه الجليلة كثرة الأمن، لا سيما الوجه القبلي منه، يسير الإنسان فيه ليلًا، ومعه ما شاء؛ فلا يجد من يعترضه، ولقد ركبت مرة وأمسى الليل عليّ وأنا وحدي؛ فربطت الدابة في حجر ونمت".

كما كان أهل هذا الإقليم معروفون بالعفة، موصوفون بالصدق، والتحرز في الأقوال، مشهورون بإكرام الوارد، وإغاثة الملهوف، وإسداء المعروف[٦].

---

(١) الإدفوي: المصدر السابق، ص ٢٤، ٢٥.

(٢) الإدفوي: المصدر السابق، ص ٢٧،

(٣) الإدفوي: المصدر السابق، ص ٧، ٨ .

(٤) الإدفوي: المصدر السابق، ص ٢٨. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، لبنان، طـ الثانية، ١٩٨٠م، ص٤٨٤.

(٥) الطالع السعيد في نجباء أهل الصعيد، ص٢٨.

(٦) الإدفوي: المصدر السابق، ص ٣٥.

كل هذه المزايا التي انفردت بها قوص؛ قد شجعت الكثير من السلاطين والأمراء في الوفود إليها في فراغهم؛ ليقضوا فيها وقتًا طيبًا، ومن الذين ذهبوا في زيارة قوص السلطان الناصر محمد بن قلاوون حيث كان يغتنم الأوقات التي يجد فيها فراغًا، ويتوجه مع بعض رجاله نحوها للسياحة والاستجمام، وممارسة هواية صيد الغزلان بها، والتي كانت تكثر في صحرائها الشرقية(١) .

رابعًا: مكانة قوص العلمية:

كانت السمة الغالبة على هذا الإقليم خلال العصر محل الدراسة؛ هي الحركة العلمية النشطة(٢)، والذي يؤكد ذلك كثرة المدارس المنتشرة بين ربوعه، فقد كان بقوص ستة عشر مدرسة(٣)، وأسوان ثلاث مدارس، وإسنا مدرستان، والأقصر مدرسة، وقنا مدرستان، وهوّ مدرسة ، وقمولا مدرسة، إذن جملة أعداد المدارس الموجودة داخل هذا الإقليم ثمان وعشرون مدرسة، ولا يوجد هذا العدد في أي مكان، سواء بالوجه القبلي ولا البحري من ديار مصر إلا في هذا الإقليم(٤).

وقد احتفظ التاريخ بنماذج من واقع الحال آنذاك تؤكد وتبرهن على حجية هذا المكان في العمل الدؤوب على طلب العلم، وكيف كان هذا الإقليم يمتلك من مقومات حب العلماء وتوقيرهم وتقديرهم، فعندما ذهب قاضي قوص إلى أسوان؛ خرج لاستقباله أربعمائة شخص على دوابهم(٥).

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ ٩، ص٧٤. محمد عبده الحجاجي: قوص في التاريخ الإسلامي، ص٣٩. عبد الفتاح عرابي: قوص في عصر سلاطين المماليك، ص٢٧.

(٢) الإدفوي: المصدر السابق، ص ٢٩. ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأخبار، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، المغرب، ١٩٩٦م، جـ١، ص٢٢٨.

(٣) ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ص١٧٠. جان كلود جارسان: ازدهار وانهيار حاضرة مصرية قوص، ترجمة: بشير السباعي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط الأولى، ٢٠١٢م، ص٢٤٣.

(٤) الإدفوي: الطالع السعيد في نجباء أهل الصعيد ، ص ٤٤، ٤٥،

(٥) الإدفوي: المصدر السابق، ص ٢٩. المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، جـ ١، ص ٤٣٧.

كما أن طلاب العلم كانت توجه لهم النصيحة بالذهاب إلى قوص ؛ طلبا للعلم، حتى وإن كان هناك ما يعكر صفو الرحلة، فإنه قد وجدت هناك مزايا أخرى تشجع الذهاب إليها مثل طيب الفاكهة، وعطر ريحانها [١] .

خامساً: مكانة قوص السياسية والعسكرية:

يعد والي قوص من أهم ولاة مصر في عصر سلاطين المماليك؛ نظرا لما كان يتمتع به هذا الإقليم من أهمية كبيرة لدى السلطان، فقد انفرد حاكم قوص بالعديد من الامتيازات التي قلّ من انفرد بها أي والٍ آخر من ولاة الديار المصرية، ومن بين هذه الامتيازات؛ فقد كان يحكم جميع ولايات الصعيد، ومنها أخميم، كما أنه في تحركاته الرسمية كانت تضرب له الشبابة (الموسيقى) السلطانية[٢] .

كما تمتع إقليم قوص في عصر سلاطين المماليك بمكانة حربية كبيرة؛ حيث كانت بالمدينة سكنات عسكرية، تضم آلاف الجنود من أبناء قوص، إضافة إلى المماليك السلطانية الذين كانوا يتمركزون بها ، وقد ازدادت أهميتها العسكرية في عصر الناصر محمد بن قلاوون، والذي جعل منها قلعة حربية بحكم موقعها الجغرافي بين بلاد المشرق والمغرب، ومن خلالها كانت تنطلق الجنود؛ لإخماد ثورات بلاد النوبة، أو غزو بلاد اليمن، كما لعبت دورًا مهمًا في بناء الأسطول البحري المملوكي، حيث قدمت كل ما يحتاجه هذا المشروع من صناع وفنيين ومهرة هذا من جانب، ومن جانب آخر قدمت كل ما يحتاجه الأسطول من أخشاب السنط اللازمة لاستكمال هذه المهمة [٣].

---

(١) محمد عبده الحجاجي: قوص في التاريخ الإسلامي، ص٣٨.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د . ت، جـ ٤، ص٢. محمد عبده الحجاجي: المرجع السابق، ص٥٨.

(٣) محمد عبده الحجاجي: قوص في التاريخ الإسلامي، ص٥٠، ٥١.

المبحث الثاني:

الخليفة المستكفي بالله العباسي في القاهرة

أولًا: نسب الخليفة:-

هو أبو الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن الحسن بن أبي بكر بن علي بن الفضل بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن جعفر بن أحمد بن محمد، وقيل: طلحة بن جعفر بن أحمد بن محمد، وقيل: طلحة بن جعفر بن إبراهيم بن الرشيد بن هارون بن محمد بن عبد الله بن عباس القرشي الهاشمي العباسي البغدادي الأصل، المصري المولد[١]، ولد في شهر المحرم سنة (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)، واشتغل بالعلم ومجالسة العلماء، وكان له عليهم فضائل عديدة[٢]، وقد عرف بصفات حميدة كما ذكرها المؤرخون، ومن هذه الصفات: أنه كان فقهيًا، شجاعًا، مهيبًا، وسيمًا[٣] ، فاضلًا، جوادًا، شجاعًا، يعرف بلعب الكرة، ورمي البندق[٤] .

---

(١) الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: علي أبو زيد، وآخرين، دار الفكر المعاصر، بيروت بالاشتراك مع دار الفكر المعاصر ، دمشق، ط الأولى، ١٩٩٨م، جـ ٢، ص٤١٩. ابن رافع: الوفيات، تحقيق: صالح مهدي وبشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٩٨١م ، جـ ١، ص٣٣٠، ٣٣١.

(٢) ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م، جـ٢، ص٢٨٢، السيوطي: تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط الأولى، ٢٠٠٣م، ص٣٧٩

(٣) الذهبي: العبر في خبر من غبر، تحقيق: محمد السعيد بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د . ت، جـ ٤، ص ١١١.

(٤) السيوطي: المصدر السابق، ص ٣٨١.

ثانياً: توليه الخلافة:-

كان الخليفة الحاكم بأمر الله قد عهد بالخلافة إلى ابنه الأمير أبي عبد الله محمد، ولقبه بـ "المستمسك بالله"، وجعل أبا الربيع من بعده، فلما مات المستمسك؛ عهد بالخلافة من بعده لابنه إبراهيم(١)، ولكن عدل عن هذا الأمر بعدما تيقن أن إبراهيم لا يصلح لهذا المنصب، وجعل أبو الربيع سليمان وليًا للعهد من بعده، فلما مات الخليفة الحاكم بأمر الله في ثامن عشر من جمادى الأولى بمناظر الكبش(٢) سنة (٧٠١هـ/ ١٣٠٢م)، – بعدما استمر في الخلافة زهاء أربعين عاما– (٣)، فبويع بالخلافة في نفس العام الذي توفي فيه والده (٤) ، بعدما رجع السلطان الناصر محمد بن قلاوون الى قاضي القضاة في ذلك الوقت الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد، وأقرّ بصلاحه؛ وذلك لكونه لم يتخطى من العمر أكثر من عشرين عاما(٥)، ولقب بعد ذلك بـ "المستكفي" (٦)، وكانت خلافته أربعين عامًا(٧)، واستقر

---

(١) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٩٩٧م، جـ٢، ص ٣٤٥، ٣٤٦.

(٢) مناظر الكبش: تطل على جبل يشكر، وتع بجوار الجامع الطولوني، أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب. المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، جـ٣، ص٣٣٨.

(٣) الذهبي: العبر في خبر من غبر، جـ ٤، ص ٤. المقريزي: السلوك، جـ٢، ص٣٤٥.

(٤) ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٩٩٦م، جـ ٢، ص٢٤٢. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ، جـ٨، ص٢٢٢. ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، جـ١، ق ١، ص٤١٠. الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣، جـ٣، ص١٢١.

(٥) السيوطي: حسن المحاضرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، طـ الأولى، ١٩٦٧م، جـ٢، ٦٢.

(٦) ابن الجوزي: تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٩٩٧م، ص٦٩. الذهبي: دول الإسلام، ص٤١٠. ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحاده، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط الثانية، ١٩٨٨، جـ٣، ص٦٦٥.

(٧) الذهبي: المصدر السابق ، جـ ٤، ص ٤.

على ما كان عليه أبيه في كل شيء[١]، وكتب بتقليده، وقرئ بحضرة السلطان بعد عزاء والده، وخطب له على المنابر[٢] في البلاد المصرية والشامية، وزفت البشارة بذلك إلى جميع الأقطار والممالك الإسلامية، كما أمر السلطان بنقش اسمه على العملة، وأصدر قراره في شهر جمادى الآخرة بأن ينتقل الخليفة وأولاده وجميع القائمين معه إلى السكنى في القلعة؛ إكرامًا لهم، ونزلوا في دارين، وخصص لهم الرواتب الكثيرة، واستمر الوضع على ما يرام بين الخليفة والسلطان[٣] ، وفوض الخليفة كل ما يتعلق به من الحل والعقد إلى السلطان الملك الناصر[٤].

(١) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، جـ ٣، ص٢٧٩.

(٢) الصفدي: الوافي بالوفيات، ٢٠٠٠م، جـ ١٥، ص٢١٧. اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، دار الكتب العلمية، بيروت، طـ الأولى، ١٩٩٧م، جـ٤، ص١٧٦. المقريزي: السلوك، جـ٢، ٣٤٦.

(٣)ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، طـ الأولى ، ١٩٨٨م، جـ ١٤، ص٢١٩. السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٣٧٩.

(٤) الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: علي أبو زيد وآخرين، دار الفكر المعاصر، بيروت، بالاشتراك مع دار الفكر ، دمشق، طـ الأولى، ١٩٩٨م، جـ٢، ص٤١٩، ٤٢٠.

ثالثا: العلاقة بين الخليفة والسلطان الناصر محمد بن قلاوون

احتفظت المصادر التاريخية بالعديد من المعلومات التي تبين أنه كان هناك علاقة طيبة في بادئ الأمر بين الخليفة المستكفي بالله العباسي وبين السلطان الناصر محمد بن قلاوون، فقد ورد أنه كان يخرج مع السلطان إلى السرحات، وكان يخرج معه في رحلات الصيد، كما كان يلعب معه الكرة، ولا يوجد تشبيهًا للعلاقة الكبيرة التي كانت بينهما أفضل مما قيل أنهما كانا كالأخوين(١)، وتؤكد المصادر على مدى التفاهم الذي كان يربط بين الخليفة والسلطان، والحرص على تغليب المصلحة العامة، ففي سنة (٧٠٢هـ/ ١٣٠٣م) انطلق السلطان يرافقه الخليفة لمحاربة التتار في موقعة شقحب(٢)، وكان يومًا مشهودًا (٣).

(١) المقريزي: السلوك، جـ٢، ص٣٤٥، ٣٤٦. السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣٨١.

(٢) شقحب: قرية تقع في الشمال الغربي من جبل غباغب، من أعمال حوران نواحي دمشق. ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ١٤، ص ٢٩، حاشية(٢).

(٣) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، جـ ٢٤، ص٣١٦. الصفدي: أعيان العصر، جـ٢، ص٤١٩. ابن دقماق: الجوهر السمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق: سعيد عاشور، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٢م، ص١٨٨. السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٣٧٩. محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون في مصر، الحالة السياسية والاقتصادية في عهدها بوجه خاص، دار الفكر العربي، القاهرة- د . ت، ص٧٧.

المبحث الثالث: سوء العلاقة بين الطرفين وإبعاد الخليفة إلى قوص

بعد أن كانت العلاقة مستقرة بين الخليفة والسلطان، وإذ ببعض الأمور شابت هذه العلاقة، ودفعتها نحو التوتر؛ مما جعل السلطان الناصر يصب غضبه على الخليفة، وقد وضح ذلك من خلال عدة قرارات اتخذها، كان منها: وضع الخليفة تحت الإقامة الجبرية داخل قلعة الكبش، ثم إبعاده إلى الصعيد الأعلى، وبالتحديد مدينة قوص، وتفصيل ذلك كالآتي:

أولًا: أسباب تغير السلطان على الخليفة:-

تباينت الأسباب التي جعلت السلطان الناصر محمد بن قلاوون يشتد في معاملته للخليفة المستكفي بالله، بعدما كانت تربطهم علاقة قوية قائمة على تقدير وتوقير كلاهما للآخر، والتعاون البناء وتبادل الشعور الطيب بينهما.

فقد ورد أنه في سنة (٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م) أي أثناء سلطته الثانية خرج السلطان قاصدًا أداء فريضة الحج، وفي أثناء هذه الرحلة تعرض لحادث اغتيال، وأصيب على إثره العديد من الجنود المصاحبين له، فما كان منه إلا أن أرسل كتابًا إلى القاهرة يتضمن عزل نفسه عن السلطنة، ذاكرًا أنه سيقيم في الكرك، فأثبت ذلك قضاة مصر، وبناء عليه وصل هذا الخبر إلى قضاة الشام، وبالتالي لا بد وأن يعين سلطان للبلاد خلفًا للناصر محمد بن قلاوون، فالتمس الأمراء من المستكفي أن يسلطن من ينهض بالملك، فقلد ركن الدين بيبرس الجاشنكير بالسلطنة، وعقد له اللواء في الثالث والعشرين من شهر شوال من نفس العام، ولقب بـ "الملك المظفر"، وألبسه الخلع السوداء، والعمامة المدورة، وغيرها من مراسم الملك ومن ثم وصل الخبر إلى بلاد الشام[١] ، ولكن لم يستمر السلطان الناصر قلاوون كثيرا

(١) بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق: دونالد س . ريتشارد، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت لبنان، ط الأولى، ١٩٩٨م، ص٤٠٦. اليوسفي: نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق: أحمد حطيط، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٩٨٦م، ص ٨٨. ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٤، ص٢١٩. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٩، ص٣٢٢. السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٣٧٩. هاني حمزة: مصر المملوكية، ص٢١٠.

في بلاد الشام؛ فقد قرر العودة مرة أخرى إلى القاهرة، وعاد ليتولى السلطنة للمرة الثالثة [١].

إذ حدث في رجب سنة (٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م) أن طلب العودة إلى منصب السلطان، وأيده في ذلك عدد لا بأس به من الأمراء، فدخل دمشق في شعبان من نفس العام، ومنها انطلق إلى مصر؛ فوصلها في عيد الفطر، وقد توجه نحو القلعة، وفي هذه الأثناء علم الجاشنكير بخبر وصوله؛ ففر هاربًا[٢]، ولما وصل والتقى بالخليفة قال له :" كيف تسلم على الخارجي؟ وكيف تبايع بيبرس؟ هل ثبت عندك أنه من بني العباس؟ فسكت مصغرًا"[٣].

وذكرت بعض المصادر أنه لما عاد إلى القاهرة، واسترد السلطنة من الجاشنكير؛ قيل أن الخليفة جدد السلطنة للجاشنكير، ونسبت إليه أقوال في حق السلطان الناصر، جعلته يتحامل على الخليفة؛ بل أعرض عنه كل الإعراض، ولم يزل يترقب الفرصة حتى قام بمعاقبته[٤] .

وقيل أن هناك أسباب أخرى كانت وراء فكرة انقلاب السلطان الناصر محمد بن قلاوون على الخليفة المستكفي جعلته يشتاط غضبًا؛ حيث إن رجلًا رفع دعوى عند الخليفة ضد السلطان الناصر محمد بن قلاوون، فما كان من الخليفة إلا أن رفع إليه خطاب عليه توقيعه[٥]، ومضمونه: أن يحضر السلطان بمجلس الشرع الحنيف

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، جـ٣، ص٢٧٩. محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون في مصر، ص٨٠.

(٢) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٣٨٠.

(٣) ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، جـ٤، ص١٥٤. محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون في مصر، ص٨٠.

(٤) المقريزي: السلوك، جـ٣، ص٢١٧.

(٥) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ ١، ق الأول، ص ٤٧٤. عبدالفتاح عرابي: قوص في عصر سلاطين المماليك، ص٧١.

أمامه، مما جعل السلطان يفقد وعيه، ويقرر أمورًا كلها ضد الخليفة وأهل بيته[١]، وقد أكد ذلك الصفدي – والذي كان معاصرًا لهذه الفترة – قائلًا[٢]:" رأيته أنا بالقاهرة مرات، وكان تام الشكل حسنًا، يملأ برونقه العين مهابة وسنًا، تعلوه الهيبة والوقار، وعليه من أبهة الخلافة والأمانة أنوار، يجود لو كان المال طوع حكمه، وينصف المظلوم، ولكن هو يشكو مثل ظلمه".

فلما وصل الخبر إلى السلطان الناصر فكر في أن يجتمع به؛ لكن قاضي القضاة جلال الدين القزويني لم يشجع هذه الفكرة، متخوفًا من ردّ الخليفة بأسلوب يصعب تداركه، فأعجب السلطان بهذا الرأي، وتخلى عن فكرة حضوره، وقرر أمرًا آخر [٣]، وهو نقل الخليفة وأهل بيته إلى قلعة الجبل ببرج السباع، وعين حارسًا على الباب [٤]، ومنعهم من الخروج، والاجتماع بالناس[٥].

إذن السلطان رأى من المستكفي ما لم يصدر من والده الحاكم بأمر الله، وهذا مما جعله يتوجس خيفة من الخليفة، فكون المستكفي يقوم بتقليد الجاشنكير، ويقر بسلطانه على البلاد، خلفًا للناصر فهو أمر لا يغتفر، وكون الخليفة يرسل في طلب السلطان بناء على شكوى وصلت ضده، فقد رأى السلطان أن هذا يسمى بسط نفوذ، فإن تركه وشأنه ربما ازداد طموح الخليفة، ولو حدث صدى لهذه الأفعال ؛ لاستعاد هيبة خلفاء بغداد، وهذا ما يرفضه أمراء المماليك في مصر ، وهذه الأسباب تعد قوية وترجح ما حدث بين الطرفين.

---

(١) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٣٨١.

(٢) أعيان العصر وأعوان النصر، جـــــ ٢، ص٤٢٠.

(٣) اليوسفي: نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، ص٣٦٢ . المقريزي: السلوك، جـــ٣ــــ ص٢١٧. ابن إياس: عقود الجمان في وقائع الأزمان، حوادث وتراجم (٦٤٨- ٩٠٤هـــ/ ١٢٥٠- ١٤٩٨م)، تحقيق: أحمد سعيد بدير، سلسلة التراث الحضاري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٢٤م، ص ١٥٨.

(٤) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جـــ٩، ص١١٥.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية، جـــــ ١٤، ص٢٠٥.

ومن بين الأسباب التي ذكرها المؤرخون أن الخليفة كان له ابن اسمه "صدقة " كان متعلقًا ببعض خاصة السلطان من الغلمان، وأن ذلك الغلام يتردد إليه، وعلى إثر هذا نفي الغلام(١)، ولكن الأمور لم تتوقف عند هذا الحد؛ وأن ابن الخليفة مستمر في لهوه، حيث بلغ السلطان أنه يكثر من اللهو في داره التي استقر بها على النيل، وأن أحد الجمدارية(٢) يقال له "أبو شامة" جميل الوجه، يقضي مدة طويلة عنده، ويتأخر عن الخدمة، فضرب الجمدار، ونفي إلى صفد، كما عوقب بالضرب رجل من مؤذني القلعة اتهم أنه السفير بين الجمدار والخليفة مما أدى إلى موت الرجل.

وقد ذكر – أيضًا – أن السبب وراء هذه الوقيعة، وزرع الضغينة بين السلطان والخليفة؛ هو إبراهيم بن المستمسك، فقد كان إبراهيم هذا ولي العهد من قبل جده الحاكم بأمر الله ، ظنًا منه أنه يصلح للخلافة، فلما علم أنه غير صالح لهذه المهمة العظيمة؛ لما هو فيه من الانهماك في اللعب، واللهو، ومعاشرة الأراذل، فعدل عنه، وولى بدلًا منه المستكفي بالله، وهو عم إبراهيم، فما كان من إبراهيم إلا أن فكر في الوقيعة بين المستكفي والسلطان الناصر، فعمل جاهدًا على أن يمشي بالنميمة بينهما؛ فكان هو السبب في اتخاذ هذه القرارات الجريئة من قبل السلطان ضد الخليفة(٣) ، وهذا ما أورده ابن فضل الله العمري قائلا(٤) :" عهد إليه جده ظنًا أن يكون صالحًا، أو يجيب لداعي الخلافة صالحًا، فما نشأ إلا في تهتك، ولا دان إلا

(١) ابن فضل الله: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، جـ ٢٤، ص٣١٥- ٣١٧.

(٢) جمدار: كلمة مكونة من مقطعين، جامه والمقصود بها اللباس، ودار بمعنى المسئول، وهي كلمة استخدمت في العهد المملوكي وتعني لباس السلطان، كما يدل أيضًا على فرقة من حرس السلطان. حسان حلاق: المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط الأولى ١٩٩٩م، ص٦٧. محمد أحمد الدهان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط الأولى ١٩٩٠م، ص٥٤.

(٣) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٣٨٢.

(٤) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، جـ ٢٤، ص٣١٨، السيوطي: المصدر السابق، ص٣٨٢، ٣٨٣.

بعد تنسك، أغرى بالقاذورات، وفعل ما لم تدع إليه الضرورات، وعاش السفلة والأراذل، وهان عليه من عرضه ما هو بازل، وزين له سوء عمله فرآه حسناً، وعمي عليه؛ فلم يرى مسناً إلا محسناً، وغواه اللعب بالحمام، وشرى الكباش للنطاح، والديوك للنقار، والمنافسة في المعز الزرابية الطوال الآذان، وأشياء من هذا، ومثله مما يسقط المروءة، ويثل عرش الوقار، إلى أن صار لا يعد إلا في سفلة الناس؛ هذا إلى سوء معاملة ، ومشتري سلع لا يوفي أثمانها، واستيجار آدر لا يقوم بأجرها، وتحيل على درهم يملأ به كفه، وسحت يجمع به فمه، وحرام يطعم منه، ويطعم حرمه، حتى كان عرضه للهوان، وأكلة لأهل الأوان".

هذه هي جملة الأسباب التي ذكرتها المصادر، والتي جعلت السلطان الناصر محمد يغضب على الخليفة المستكفي بالله، فلو نظرنا إليها من تجاه الخليفة لوجدناها من صميم عمله، ومن بين صلاحياته تعيين سلطان وعزل آخر، فما بالنا إن كان السلطان نفسه هو من أرسل خطابًا يعزل فيه نفسه، وبقية الأمراء المتواجدين في القاهرة، يطبلون منه تولية آخر؛ حتى لا تندلع نيران الفتنة، إذن الخليفة لم يخرج عن المألوف، ولم يشذ عن قاعدة عمل الخلفاء، وإن كان سلاطين المماليك رسخوا فكرة أن الخليفة ليس له من أمور الخلافة شيء، فهذا وضع آخر .

كذلك إن نظرنا إلى الشكوى التي قدمت للخليفة، والخليفة بدوره نظر فيها وعرف أن هناك مشكلة ما بين شخص والسلطان، فأرسل يستدعي السلطان لسماع أقواله، وحتى يبرئ نفسه، فهل أجرم الخليفة؟!

وكأن السببان الأخيران القشة التي قصمت ظهر البعير، حيث إن تولية الجاشنكير بعيدة زمنيًا، وكذلك العداوة بين إبراهيم والمستكفي ، ولكن كون الخليفة يجلس لاستقبال الشكاوى فهذا على غير المعتاد، فكان لزامًا على السلطان أن يتحرك ليحافظ على منصبه ومكانته.

ثانياً: عقوبات السلطان الناصر للخليفة المستكفي:-

تعرض الخليفة المستكفي بالله العباسي لأكثر من عقوبة في أكثر من موضع على أيدي السلطان الناصر بن قلاوون؛ وذلك على خلفية الأسباب سالفة الذكر، وجاءت العقوبات على النحو الآتي:

(أ) جعل الخليفة تحت الإقامة الجبرية في القاهرة:-

لما كان السلطان المملوكي هو من بيده مقاليد الأمور داخل الدولة المصرية؛ فلم يتقبل فكرة أن يكون الرجل الثاني، كذلك لم يستوعب الجرأة التي كان عليها الخليفة المستكفي بالله من تولية الجاشنكير بدلًا منه؛ مما جعله يغير سياسته ومعاملته تجاه الخليفة، فما كان منه إلا أن أصدر أوامره في الثالث والعشرين من شهر ذي القعدة سنة(٧٣٦هـ/ ١٣٣٦م) بنقل الخليفة من مناظر

الكبش إلى قلعة الجبل محددًا إقامته[١]، مانعًا عنه الاجتماع بالناس[٢]، وقد ظل في هذا المكان لمدة خمسة أشهر وسبعة أيام[٣].

---

(١) ابن الجزري: تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه المعروف بتاريخ ابن الجزري، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠٦م، جـ ٣، ص ٨٧٥. اليوسفي: نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، ص٣٦٢. الصفدي: أعيان العصر، جـ٢، ص٤٢٠. ابن دقماق: الجوهر الثمين، ص١٨٨. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٩، ص١١٥. نجوى كيرة: صراع السلطة في عصر سلاطين المماليك(٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م)، المجلة التاريخية المصرية، تصدر عن الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة ، مصر، مج(٤٦)، ٢٠٠٨/ ٢٠٠٩م، ص١٨١.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ١٤، ص٢٠٥. ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، جـ٣، ص٦٦٥. السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٣٨١. سعيد عاشور: نظم الحكم والإدارة في عصر الأيوبيين والمماليك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، القاهرة، ط الأولى، ١٩٨٧، ص٢٦١.

(٣) المقريزي: السلوك، جـ ٣، ص٢١٧. ابن إياس: بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص٤٧٢.

وفي سنة (٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م) تحديدًا ٢١ من ربيع الأخر تم الإفراج عن الخليفة، ورجوعه إلى مقر إقامته في مناظر الكبش، والسكن بها(١)، وذلك بعد أن توسط له بعض الأمراء، وعلى رأسهم الأمير قوصون(٢)؛ نظرًا لمكانته(٣).

(ب) إبعاد الخليفة إلى قوص:-

لم يقتنع السلطان الناصر بالإقامة الجبرية للخليفة؛ والتي ظل فيها لمدة خمسة أشهر أو تزيد، بل فكر في أمر أصعب من ذلك وهو أن يبعد الخليفة عن العاصمة نهائيًا، حتى تستقيم له الأمور، وحتى لا يحدث معه مثلما حدث من قبل، فما كان منه إلا أن قرر أن يبعده عن مقر الحكم، مرسلًا إياه إلى الصعيد الأعلى حيث تقع مدينة قوص، هذه المدينة التي تبعد عن عاصمة الدولة المملوكية أكثر من ستمائة كيلو متر.

(١) وصول الخليفة إلى قوص:-

في الثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة (٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م) صدرت الأوامر من قبل السلطان الناصر بنقل الخليفة المستكفي إلى قوص(٤)، ومعه أهل بيته

---

(١) ابن الجزري: حوادث الزمان، جـ٣، ص ٩٢٩. ابن كثير: المصدر السابق، جـ ١٤، ص٢٠٢. المقريزي: المصدر السابق، جـ٣، ص٢١٧. عثمان إسماعيل الطل: عقوبة النفي في العصر المملوكي(٦٤٨- ٩٢٣هـ/١٥١٦- ١٢٥٠م)، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة نواكشط، موريتانيا، العدد (٥٢)، ٢٠٢١م، ص٨٧.

(٢) قوصون: هو الأمير سيف الدين الناصري الساقي، يعد من خواص الملك الناصر، وله مكانة كبيرة عنده على إثرها زوجه ابنته، وكان يمتلك الكثير من الصفات الحسنة، إلا إنه في أخر المطاف تم اعتقاله في الإسكندرية، وتم إعدامه سنة(٧٤٢هـ/١٣٤٢م). الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ٢٤، ص٢٠٧- ٢٠٩.

(٣) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، جـ٢٤، ص٢١٦. المقريزي: السلوك، جـ٣، ص٢١٧.

(٤) أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية، القاهرة ط الأولى، د . ت جـ٤، ص١٢٢. ابن إياس: بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٤٧٤. عثمان إسماعيل الطل: عقوبة النفي في العصر المملوكي، ص٨٧ . نجوى كيرة: صراع السلطة، ص١٨١.

وأقاربه[١]، الذين وصل عددهم قرابة مائة شخص[٢]، كما طُلب من والي قوص في ذلك الوقت وهو الأمير ركن الدين الكركي أن يحتفظ بهم[٣]، وأُسند مهمة تأمين وصوله إلى مدينة قوص للأمير سيف الدين قطلو تمرقلي[٤]، وعلى ذلك يعد الخليفة المستكفي كما ذكر ابن إياس [٥] هو: " أول خليفة نفي من مصر من غير جنحة، ولا سبب، ومعه أولاده وعياله" .

(٢) حياة الخليفة داخل قوص والخطبة له:-

من الطبيعي أن يكون هناك اهتمام بكل زائر ومقيم داخل مدينة قوص، ويزيد الاهتمام عندما يكون هذا الشخص هو الخليفة العباسي، فعندما قدم الخليفة المستكفي بالله إلى مدينة قوص مرسلًا به من قبل الناصر بن قلاوون، اهتم به مسئولو قوص اهتمامًا كبيرًا، لا سيما لكونه يمثل خلافة المسلمين- بغض النظر عن كيفية المجيء وأسبابه -، مرتبين لهم من يقوم على مصالحهم[٦].

وعلى الرغم من فكرة إبعاد الخليفة إلى الصعيد الأعلى حيث مدينة قوص التي تبعد كثيرًا عن العاصمة؛ إلا أن هناك أمرًا ملفتًا للانتباه وهو عدم انقطاع الخطبة للخليفة المستكفي بالله العباسي على المنابر في مصر وبلاد الشام، وقد استمرت الخطبة له منذ أن تولى الخلافة سنة (٧٠١هـ/١٣٠٢م) وحتى وفاته في قوص

---

(١) ابن إياس: عقود الجمان ، ص١٥٧. مرعي بن يوسف الكرمي: نزهة الناظرين في من ولي مصر من الخلفاء والسلاطين، تحقيق: أميرة محمد فهمي، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ص١١١. محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون في مصر، ص٨١.

(٢) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣٨١.

(٣) اليوسفي: نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، ص٣٦٣. وذكر في حاشيته أن المتولي اسمه مؤمن الأمير صفي الدين توفى سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)، المقريزي: السلوك، جـ٣، ص٢١٧. جان كلود جارسان: ازدهار وانهيار حاضرة مصرية قوص، ص١٨١.

(٤) المقريزي: السلوك، جـ٣، ص٢١٧، ٢١٨.

(٥) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٤٧٤.

(٦) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٤، ص٢٠٧

سنة(٧٤٠هـ/١٣٤٠م) [١]، وهذا ما أثبته ابن حجر قائلًا [٢] : "وكان في طول مدته، يخطب له على المنابر، حتى في زمن حبسه ببرج القلعة، ومدة إقامته في قوص".

ومع أن الخليفة كان يخطب له على المنابر في مصر والشام؛ إلا أنه ليس له منها سوى الاسم فقط، مثله في ذلك مثل غيره من خلفاء بني العباس في مصر، ولم يكن يتمتع بأي سلطات مادية[٣]، كما أن وجوده في منصبه وعزله منه كان يتوقف على رغبة السلطان في ذلك الوقت، وليس هذا فحسب؛ بل كان الخليفة غير مسموح له أن يتصل بأحد المسئولين في الدولة دون إذن من السلطان نفسه[٤] .

ويذكر أن أسرة الخليفة طيلة الفترة التي عاشتها في قوص عقدت صلات مع الآخرين، وفرضت على سائر المدينة المعاملة اللائقة التي يختص بها أمير المؤمنين[٥]

كما أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون اهتم بأمورهم المالية ونفقاتهم الخاصة، فحدد لهم ما يكفيهم[٦]، وكان ما قدر لهم أكثر مما كان لهم بالقاهرة[٧]، إلا أن المقريزي ذكر كلامًا مغايرًا لذلك، فقد تحدث عن راتب الخليفة قبل ذهابه إلى

---

(١) السيوطي: حسن المحاضرة في ملوك مصر القاهرة، جـ ٢، ص٦٧. محمد حمال الدين سرور: دولة بني قلاوون في مصر، ٨١.

(٢) ابن حجر: الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة، جـ ٢، ص ٢٨٢، السيوطي: حسن المحاضرة، جـ٢، ص٦٧.

(٣) الزركلي: الأعلام، جـ ٣، ص١٢١. سعيد عاشور: نظم الحكم والإدارة في عصر الأيوبيين والمماليك، ص ٢٦١.

(٤) قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط الأولى، ١٩٩٨م، ص٩١.

(٥) جان كلود جارسان: ازدهار وانهيار حاضرة مصرية قوص، ص١٨٤.

(٦) اليوسفي: نزهة الناظر، ص٣٦٣.

(٧) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣٨١.

قوص، وكذلك ذكره وهو مقيم بقوص، فقد ذكر أن الخليفة كان راتبه في القاهرة خمسة آلاف درهم شهريًا، فلما أرسله إلى قوص خفض راتبه وجعله ثلاثة آلاف درهم، وأخذ هذا الراتب في التقلص حتى وصل إلى ألف، وهذا المبلغ من المؤكد لا يكفي نفقاته؛ مما جعل المؤلف يذكر أن نساؤه اضطررن لبيع ثيابهن(١).

ومن الذين تحدثوا عن الجانب المالي للخليفة في قوص كان الصفدي، فقد ذكر أن راتب الخليفة الشهري يصل إلى مائتي ألف درهم في السنة، ثم ينقل عن غيره قائلًا (٢) :" أخبرني القاضي شهاب الدين بن فضل الله قال: إن الراتب الذي كان له لم يكن يبلغ خمسين ألف درهم في السنة، فلما خرج إلى قوص ، قُوِّم غاليًا، وحسب زائدًا؛ ليكثر ذلك في عين السلطان، وجعل ستة وتسعين ألف، فرسم بأن يصرف ذلك إليه بكماله من مستخرج الكارم(٣) فأرادوا نقصه، فازداد".

وهذا ما أكدته المصادر أنه نساؤه تعرضن لبيع ثيابهن، ومن المؤكد هذا من باب المبالغة وليس الحقيقة، ولكن يترك لنا أمرًا حقيقيا هو تدهور الحالة الاقتصادية بالنسبة للخليفة وأهل بيته.

إذن هناك تفاوت كبير بين الرقمين من خمسين إلى مائتي ألف الفرق شاسع، وكون السلطان يجعل راتبه عند إقامته في قوص يعطى له من مستخرج الكارم؛ فهو راتب متوسط.

---

(١) المقريزي: السلوك، جـ ٣، ص٢١٨.

(٢) أعيان العصر وأعوان النصر، جـ ٢، ص٤٢١. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، جـ٦، ص٢٠، ٢١.

(٣) الكارم: ويقال له الكانم، والمقصود بهذا المصطلح: تجارة التوابل القادمة من بلاد الهند واليمن. حسان حلاق: المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية، ص١٨٤. محمد الدهان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص١٢٨.

وفي أثناء الفترة التي تواجد فيها الخليفة في قوص؛ أصيب في ابنه صدقة حيث وافته المنية هناك، وكان من أحب الأبناء إلى قلبه، فحزن عليه حزناً شديدًا، أثرّت بالسلب على صحته(١)، حتى أنه لم يعش كثيرًا بعده(٢).

(ج) موقف قضاة قوص من الخلافة:-

عندما شعر الخليفة أثناء إقامته في قوص بدنو أجله؛ قرر أن يولي العهد من بعده لابنه أحمد(٣) – وهذا هو المتبع في سيرة الخلفاء، سواء عندما كانوا في بغداد أو حتى في القاهرة –، فطلب حضور القاضي وأربعين عدلًا، وأشهدهم أنه ولى الخلافة من بعده لابنه المذكور، وأقر بذلك نائب قوص وقتها(٤)، وبذلك يكون الخليفة المستكفي فوض إلى ولي العهد أمر الخلافة المعظمة تفويضًا شرعيًا صريحًا، وعقد له عقد ولاية العهد على الأئمة عقدًا صحيحًا(٥)، فبويع له، ولقب بـ " الحاكم بأمر الله " (٦)، وشهد على هذه البيعة كل من كان من أبناء البيت العباسي آنذاك(٧)، ومن ثم دعي له على المنابر وكان ذلك سنة(٧٤٠هـ/١٣٤٠م) (٨).

---

(١) الصفدي: أعيان العصر وأعوان العصر، جـ٢، ص٤٢٠، ٤٢١. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، جـ٦، ص٢١. الزركلي: الأعلام، جـ٣، ص١٢١.

(٢) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، جـ٢٤، ص٣١٦، ٣١٧.

(٣) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٣٨٢. ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ق ١، ص٤٧٤.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٣، ص٢٧٩. المقريزي: السلوك، جـ٣، ص٢٨٧. السيوطي: المصدر السابق، ص٣٨٣، ٣٨٤. جان كلود جارسان، ازدهار وانهيار حاضرة مصرية : قوص، ص١٨٤. محمود رزق سليم: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، دار الحمامي للطباعة، القاهرة، طـ الثانية، ١٩٦٥م، مج ٢، ص١٦. نجوى كيرة: صراع السلطة، ص١٨١.

(٥) الذهبي: دول الإسلام، ص٤٢٧.

(٦) ابن خلدون: العبر، جـ ٣، ص٦٦٥.

(٧) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، جـ٢٤، ص٣٣٢.

(٨) القلقشندي: المصدر السابق، جـ٣، ص٢٧٩.

(د) وفاة الخليفة في قوص:-

أقام الخليفة المستكفي بالله في قوص فترة زمنية ليست بالقصيرة (٧٣٧-٧٤٠هـ/ ١٣٣٧- ١٣٤٠م) [١]، ثم وافته المنية هناك في شعبان سنة (٧٤٠هـ/١٣٤٠م) وكانت مدة خلافته تسع وثلاثون سنة وشهران وثلاثة عشر يوما[٢]، وله من العمر ست وخمسون سنة، وستة أشهر، وأحد عشر يومًا، ودفن هناك[٣]، وبموته رحل اسم الخلافة من على المنابر[٤]، وظل زهاء أربعة أشهر في مصر والشام لا يذكر الخطباء اسم الخليفة في خطبهم[٥].

كل هذه الظروف التي عاشها الخليفة في قوص تجعلنا نطرح سؤالًا هو: هل الخليفة العباسي المستكفي بالله كان منفيًا من باب العقوبة؟ أم أن السلطان كان كارهًا رؤيته أمامه؛ ففكر في إبعاده عن وجهه متمسكًا بسلطته الدينية دون عزله وتولية غيره ؟

من المعروف لكل من أرخ لهذه الفترة الحساسة التي جاءت بعد إسقاط الخلافة العباسية ببغداد، أن إحياء الخلافة بالقاهرة من الأمور الطيبة المحمودة؛ لكونها تحافظ على رمز من الرموز الدينية التي تجتمع حوله الأمة الإسلامية هذا من جانب، ومن جانب آخر، أعطى مكانة كبيرة للدولة المملوكية على المستوى

---

(١) ابن دقماق: الجوهر الثمين، ص١٨٩. ابن إياس: بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٤٧٤.

(٢) ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، جـ٢، ص٣١٧. ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٤، ص٢١٩ ابن تغري بردي: مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز، دار الكتب المصرية، القاهرة، د . ت، جـ١، ص٢٤٣. ابن إياس: عقود الجمان، ص١٥٩. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، جـ٨، ص٢٢٢.

(٣) الذهبي: دول الإسلام، ص٤٢٥. المقريزي: المصدر السابق، جـ٣، ص٢٨٨. السيوطي: حسن المحاضرة، جـ٢، ص٦٧.

(٤) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٣٨٣.

(٥) المقريزي: المصدر السابق، جـ٣، ص٢٨٧، ٢٨٨.

الإسلامي؛ لأنهم نجحوا في مهمة فشل فيها العديد ممن سبقهم من حكام مصر وعلى رأس هذه الأسماء الأمير أحمد بن طولون؛ وتبعه في هذه الفكرة الإخشيدي، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل، فكانت الفرصة سانحة، والأرض خصبة أمام المماليك في تبني هذه الفكرة التي سترفع من قدرهم أمام الجميع؛ ولذلك أحيوا الخلافة في القاهرة، لكن كل من تولى الخلافة في القاهرة لم يكن له منها سوى الاسم فقط، وتهنئة السلاطين في المناسبات، وتقليد الشخص الذي يتولى السلطنة، إذن ليس هناك خطر يهدد سلاطين المماليك من ناحيتهم على الإطلاق، اللهم إذا استثنينا موقف الخليفة المستكفي بالله عندما ولى السلطنة للجاشنكير بدلًا من السلطان الناصر، وكذلك نظر في بعض الأمور فأرسل يطلب السلطان ليمثل أمامه، هذه الأمور جعلت الناصر يشك ويفكر لماذا المستكفي فعل ذلك؟ هل هو يريد أن يعيد أمجاد آبائه وأجداده في بغداد وتكون كل الأمور في أيديهم؟ فإن كان يريد ذلك فهو يهدد منصب السلطان بالفعل، ولكن نسأل أنفسنا سؤالًا: لماذا الخليفة المستكفي أخذ هذه الخطوة التي تعد من منظور السلطان جريئة؟ الإجابة بمنتهى البساطة: هي تنازل السلطان الناصر عن السلطنة وطلب باقي الأمراء من الخليفة تقليد الجاشنكير الذي وقع عليه الاختيار.

ولذلك كان السلطان بين أمرين؛ إما أن يغض الطرف، ومن ثم يتحمل تبعات هذه الخطوة من قبل الخليفة، وإما أن يعنف الخليفة ، ففضل أن يعنفه بالإقامة الجبرية في بادئ الأمر، ولكن عندما وجد من يشفع للخليفة فكّر في أن يرسله إلى مكان بعيد لم يصل إليه أحد من الأمراء هذا من جانب، ومن جانب أخر تعد مدينة قوص من أفضل المدن على مستوى الوجهين القبلي والبحري، فأرسل به إلى هذه المدينة العريقة العظيمة لبتي تعد بوابة مصر الجنوبية، وجعل له ميزة الخطابة على المنابر مع اسم السلطان، فبهذا الأمر حافظ على الخلافة في بقاء اسمه على المنابر، وحافظ على منصب السلطان ومكانته في إبعاد الخليفة، وحتى لا تسول نفس أحد – ممن يأتي بعده من البيت العباسي – أن يفعل مثلما فعل.

فأرى أن هذا لا يعد نفيًا من باب العقوبة؛ لأن النفي إن كان عقوبة يترتب عليه إسقاط المنصب من صاحبه في حالة تنفيذ العقوبة، وهذا ما لا نراه مع المستكفي، وذلك من عدة أوجه:

أولًا: الخليفة يتمتع بالحرية الكاملة داخل قوص، **ثانيًا:** يخطب له على المنابر، **ثالثًا:** له راتب خصص له ولكل أولاده، **رابعًا:** وهذا هو الأهم عندما شعر بدنو أجله أحضر قضاة قوص وولى العهد لابنه أحمد من بعده، فهل هناك شخص منفي له كل هذه المزايا، وهل هناك شخص منفي يتمتع بالحرية، ويجلس مع القضاة، وينصتون له، ويصرون على تنفيذ وصيته، ويقرون بشهادتهم لهذا العهد أمام السلطان؟!

كما ترى الدراسة أن انتقال الخليفة إلى قوص انتقال خلافة، وليس خليفة؛ لكونه يتمتع بحقوقه السياسية والدينية، من حيث الخطبة باسمه على المنابر، والمعاملة الطيبة من قبل القائمين على قوص، وكذلك أهلها، والأهم من هذا كله؛ أنه نجح في أن يولي العهد لابنه أحمد من بعده، وشهد بذلك نائب قوص وقاضيها وعدولها، وتشبث الجميع بهذه البيعة، وعلى رأسهم قاضي القضاة ابن جماعة.

ويقوي هذا الرأي أن كل من جاء إلى قوص من سلاطين المماليك منفيًا أو مبعدًا؛ كان يجرد من مناصبه تمامًا، ويتولى آخر السلطنة بدلًا منه، كما كانت تصدر الأوامر من القاهرة بقتله، وقد احتفظ التاريخ بنموذج يؤكد صحة هذا الرأي أو على الأقل وجاهته، حيث أن أحد أبناء السلطان الناصر وهو المنصور، تم نفيه إلى قوص، ومن ثم جرد من منصبه، وسرعان ما صدرت الأوامر بقتله ، وجرى تنفيذ العقوبة سرا[١].

(١) ابن تغري بردي: مورد اللطافة، جـ٢، ص٦٨. جان كلود جارسان: ازدهار وانهيار حاضرة مصرية: قوص، ص١٨٤.

المبحث الرابع: الآثار المترتبة على إقامة الخليفة في قوص:

مما لاشك فيه أنه قد ترتب على نقل الخليفة المستكفي بالله من القاهرة إلى منطقة بعيدة عن العاصمة، حقدًا، وبغضًا وكرهًا من قبل السلطان الناصر محمد بن قلاوون، جزاء لجرأته، وتخطي حدوده، والرغبة في استخدام نفوذه، العديد من الآثار، فمنها ما كان مؤثرًا في شخصية الخليفة، ومنها ما ترك أثرًا في شخص السلطان.

أولًا: أثر الانتقال على الخليفة:-

عندما نتحدث عن أثر الانتقال من ناحية الخلافة، نجد منه ما هو **ديني**، ومنه ما هو **اجتماعي**، ومنه ما هو **اقتصادي**. أما **الديني**؛ فقد نجح الخليفة المستكفي في المحافظة على منصب الخليفة في نسله، وذلك عندما تمت البيعة لابنه أحمد الذي لقب بـ "الحاكم "، وذلك بموافقة قضاة قوص ونائبها وأربعون عدلًا، مما كان عائقًا لدى السلطان في تعيين غيره؛ لكونه لا يرغب في المستكفي، ولا في نسله، ومما يؤكد ذلك تشجيعه وتمسكه بإبراهيم المستمسك في منصب الخلافة(١).

ومن الواضح أن لمدينة قوص مكانة كبيرة عند سلاطين المماليك، وكل القائمين عليها يتمتعون بقوة الشخصية، والتي من خلالها لا يعرفون المحاباة، حتى ولو كان الأمر يرتبط بالسلطان نفسه، فها هم النائب والقاضي والعدول لم يفكروا أبدًا في أن يتراجعوا في إقرارهم وشهادتهم المتعلقة بشأن ولاية العهد لابن المستكفي، ووقفوا في وجه السلطان، وأبلغوه بصحة ولاية العهد، حتى وإن لم يأخذ بقولهم، حتى إن السلطان عندما عقد مجلسًا، وجمع فيه القضاة الأربعة بسبب من يلي الخلافة، ورأى القضاة ذلك العهد الذي جاء إليهم من مدينة قوص؛ تمسكوا بحكم قاضي قوص، وانفض المجلس بعد أن امتنعوا أن يوافقوا السلطان فيما يريد(٢).

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٤٧٤. محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون في مصر، ص٨١.

(٢) ابن إياس: المصدر السابق، جـ ١، ق ١، ص ٤٧٤.

وهذا الفعل يبين مدى أهمية هذه المدينة، ومدى تأثيرها في شئون السلطنة، وكذلك مدى الارتباط بينها وبين العاصمة في ذلك الوقت؛ لأنه لو كان الأمر كذلك لكان ما فعله الخليفة كأن لم يكن، وما كلفوا أنفسهم أن يبلغوا السلطان بما جرى.

أما الأثر **الاجتماعي** الذي تعرض له الخليفة المستكفي في مدينة قوص؛ فهو إصابته في ابنه صدقة، والذي وافته المنية داخل هذه المدينة؛ مما كان له بالغ الأثر في حياة الخليفة المستكفي بالله، وضعف بعدها ضعفًا شديدًا، وكذلك حزن حزنًا كبيرًا؛ على إثره لم تطل حياته بعدها.

كما تأثر الأهالي بمغادرة الخليفة وأولاده القاهرة، حتى أنهم شق عليهم ذلك، ولم يستحسنوا هذه الفعلة من السلطان(١).

كما كان هناك أثر **اقتصادي** بالغ الأهمية في حياة الخليفة وعائلته، فقد استخدم معه السلطان سياسة التضييق المالي، وكذلك التقتير في مخصصاتهم الشهرية، وبدلًا من أن كانت مرتباتهم تخرج من الديوان برقم ثابت، بدأ في تخفيضها، وليس هذا فحسب ؛ بل أسند الراتب إلى ما يخرج من مستخرج الكارم من مدينة قوص؛ مما جعل نساء الخليفة يبغن ثيابهن

ثانيًا: أثر الانتقال على السلطان:-

ظلت دولة السلطان الناصر محمد بلا خليفة ولا خلافة حقيقية داخل القاهرة منذ مغادرة المستكفي للعاصمة، كما أنه لم يفكر في أن يولي أحد بدلًا منه مثل عمه المذكور آنفا، ولو كان الإبعاد عقوبة لولاه خلفًا لابن أخيه دون تردد، ولكن لماذا يولي غيره وهو لم يسقط اسمه من الخطبة؟ لماذا يولي غيره وهو يخرج له راتبًا شهريًا؟ إذن فهو يرى أن وجوده في قوص لم يختلف عن وجوده في قوص.

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٤٧٤.

ـ النزاع بين القضاة والسلطان

من المثير للدهشة أن السلطان الناصر محمد لم يفكر أبدًا في مرحلة ما بعد وفاة الخليفة المستكفي بالله، ولو كان يفكر في ذلك ما حدث هذا اللغط على الإطلاق، وما حدث النزاع بين القضاة والسلطان.

فقد بدأ هذا النزاع بمجرد معرفة خبر وفاة الخليفة، حيث رغب السلطان في الاستفادة من وفاة السلطان في قوص، فقرر أن يولي الخلافة لـــ " إبراهيم الواثق"(١)، ورفض الاعتراف ببيعة أحمد بن المستكفي، الملقب بـــ " الحاكم"، وضرب بكلام رجال قوص عرض الحائط، منكرًا هذه البيعة(٢)، لا سيما وأن إبراهيم المذكور كان له دور في الإيقاع بينه وبين الخليفة(٣)؛ لأنه كان يرى أن البيعة كانت له بدلًا من المستكفي؛ لكن المستكفي اغتصبها منه، وإن كان في كلامه شيء من الصحة؛ لكونه جاء إلى السلطان، وأحضر معه عهد جده، إلا أنه مردود عليه؛ لأنه نقض هذا العهد، ونسخ ذلك العقد؛ لسيرته القبيحة، حتى أن قاض القضاة ابن جماعة حاول جاهدًا أن يغير من رأي السلطان وفكرة تمسكه بالواثق، وعدم إقامة الخطبة له، إلا أنه لم يوفق في ذلك، ولكن اتفق الرأيان على منع الخطبة لبني العباس، واكتفى بذكر اسم السلطان فقط (٤).

ـ انقطاع الخطبة لبني العباس لمدة أربعة أشهر:-

بعد أن مات المستكفي من المفترض أن يتولى الخلافة من بعده مباشرة، ويبايعه القاصي والداني ابنه أحمد، ولكن السلطان لم يوافق على ذلك، ولم يعترف بولاية العهد هذه، ومن ثم حدث تضاربًا في مصر على منصب الخلافة ، فريق يرغب في البيعة للواثق؛ ويتزعمهم السلطان، وفريق يرغب في أن يتولى الخلافة الحاكم خلفًا لوالده والسواد الأعظم؛ يؤيد ذلك ويتزعمهم القضاة، وعلى رأسهم

---

(١) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣٨٢. محمود رزق سليم: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، ص١٦.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٤٧٤.

(٣) السيوطي: المصدر السابق، ص٣٨٢.

(٤) ابن إياس: المصدر السابق، جـ ١، ق ١، ص ٤٧٤.

قاضي القضاة ابن جماعة بناء على ما ذكره قضاة وعدول قوص، فلما وصل الأمر لهذا الحد؛ ظلت مصر بلا خليفة لمدة أربعة أشهر(١).

ثالثًا: أثر الانتقال على سكان القاهرة:-

كان لنقل الخليفة من القاهرة إلى قوص أثر بالغ في نفوس أهالي القاهرة؛ وذلك لما كانت تمثل لهم الخلافة من مكانة دينية كبيرة، تمكنوا من تحقيقها بعد قرون من الزمان، ولما أصبحت في القاهرة، لم يشفع ذلك للخليفة، ولكن السلطان عاقبه بإرساله لإقليم قوص، ولما حدث ذلك شق عليهم ذلك، وحزنوا على الخليفة حزناً شديدًا (٢)، ومن الذين تأثروا بذلك المؤرخ ابن الوردي وسجل ذلك في كتابه قائلًا (٣):

أخرجوكم إلى الصعيد لأمر ... غير مجز في ملتي واعتقادي
لايغيركم الصعيد وكونوا ... فيه مثل السيوف في الأغماد

(١) ابن إياس: عقود الجمان، ص ١٥٨.

(٢) ابن إياس: المصدر السابق، ص ١٥٧.

(٣) ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، جـ٢، ص ٣٠٧، ٣٠٨.

الخـــــــــاتمة

بعد أن تجولنا بين صفحات التاريخ بحثا عن ملابسات انتقال الخليفة المستكفي بالله العباسي إلى قوص ؛ توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج والتوصيات، وهي كالآتي:

أولًا النتائج:-

(١) – تبين من خلال البحث أن مدينة قوص من المدن العريقة تاريخيًا، وكذلك من المدن المهمة على مستوى القطر المصري شمالًا وجنوبًا خلال العصر محـــل الدراسة

(٢) – أوضحت الدراسة أن مدينة قوص تعد من المواقع العسكرية المهمـــة فـــي صعيد مصر، حيث أنها تمثل معسكرًا للقوات المصرية؛ لصد غارات الأعداء.

(٣) – اتضح من خلال الدراسة أن مدينة قوص تعد المنفذ البري الذي من خلالـــه تستطيع الوصول إلى عيذاب حيث البحر الأحمر، ومن ثم الانطلاق إلى بـــلاد الحرمين الشريفين، وخاصة في موسم الحج.

(٤) – أظهرت الدراسة أن مدينة قوص من المنابر العلمية المهمة في مصر إبـــان عصر سلاطين المماليك، حيث كان بها العديد من المدارس، كما تخرج منهـــا العديد من العلماء.

(٥) – أثبتت الدراسة أن قضاة مصر عمومًا وقضاة قوص على وجه الخصـــوص كان لهم استقلالية كاملة في فتواهم وأحكامهم، وقد ظهر ذلك جليًا في مـــوقفهم من ولاية عهد الحاكم ابن المستكفي .

(٦) – سجلت الدراسة أن الخليفة المستكفي بالله العباسي انتقل من عاصمة الوجـــه البحري مدينة القاهرة إلى عاصمة الوجه القبلي مدينة قوص بإثباتات تاريخية واقعية تتحدث عن مدينة قوص وأهميتها في شتى المجالات.

(٧) – أكدت الدراسة أن الخليفة عاش في قوص مدة تقدر بثلاث سنوات تعامل فيها مع نائبها وعلمائها وقضاتها في شتى الأمور بنفس ماله من مكانة ونفوذ وتقدير.

(٨) – يرجع الفضل لمدينة قوص في الحفاظ على قدر وهيبة الخلافة العباسية طيلة مدة البحث، وتمثل ذلك في معاملة الخليفة المستكفي، ثم بعد ذلك في شخص ابنه الحاكم.

(٩) – تبين من خلال الدراسة أن خلفاء الدولة العباسية في القاهرة لم يكن لهم من الخلافة إلا اسمها فقط، وكذلك المستكفي، وبما أنها اسمية فما المانع أن يكون ما حدث مع المستكفي ونقله لمدينة قوص هو بمثابة نقل للخلافة العباسية، وذلك بدليل أن السلطان لم يول أحدًا بعد نقل المستكفي لقوص، وكذلك تمسك المستكفي بالولاية لابنه وذلك على مرأى ومسمع من الساسة والقضاة في قوص.

ثانياً: التوصيات:-

(١)– توجيه أنظار الباحثين لدراسة تاريخ مدن صعيد مصر عامة، وقوص خاصة لمكانتها المميزة، ولحضارتها العريقة، فإن بها تراث لو تم تتبعه من قبل الباحثين لنجحنا في استخلاص حضارة معتبرة، لا تقل أهمية عن حضارة القاهرة.

(٢) – هناك كور وأعمال داخل إقليم قوص تحتاج إلى التنقيب وراءها، والبحث عنها في بطون الكتب، فلو تتبعنا دورهما في عصر سلاطين المماليك لوجدنا أن لهما دورًا كبيرًا في الناحية العلمية والثقافية لصعيد مصر، كما سنجد من خلالهما أسماء للعديد من العلماء الذين تركوا أثرًا طيبًا في شتى العلوم ومختلف الفنون.

الملاحق

ملحق رقم (١)

صورة خطاب تولية العهد من الحاكم لابنه المستكفي[١]

" الحمد لله الذي رفع المستكفي به لما انتصب بشريف همته للمحل الأسمى، ومنح الأمة به ربيع خفض العيش، وجزم أمرهم على الصلاح والتوفيق جزمًا، وأدام الأئمة من قريش، ونظم لآلئ حكم أحكامهم في جيد الزمان نظما، وجعل الناس تبعا لهم في هذا الأمر، فغيرهم بالخلافة المعظمة لا يدعى ولا يسمى، فالحاكم الحسن المسترشد المستظهر بذخيرة الدين القائم بأمر الله القادر المقتدر المعتضد الموفق المتوكل المعتصم الرشيد المهدي الكامل من اقتفى لسنن سنتهم رسمًا، استودع الخلافة في بني العباس الذي كان لنبيه الكريم عمًّا، وفرج عنه ليلة العقبة بمبايعة الأنصار كربة وغما، فبشره بأن الخلافة في عقبه فعمه بالسرور عما. فلما انتهى ذلك السر في العوالم إلى الحاكم قيل وقد أمسكت هيبة الخلافة عن معرفة حقوقها العظيمة من كل عظيم فما {فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا}[٢] أحمده حمد من لم يثن عن طاعته، وطاعة رسوله وأولي الأمر عزما، ويورثها من يشاء من خلقه اختيارا ورغما، واشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي دعا إلى مودة أولي القربى، ومن أفضل من قرابته زكاة وأقرب رحمًا، صلى الله عليه وآله وصحبه وخلفائه وعترته، الذين هم أعدل البرية حكما، وبعد: فإن الملك السلام منذ أسجد لآدم ملائكته الكرام في سالف الزمان قدمًا، جعل طاعة خلفائه في بلاده على سائر عباده حتمًا، كيف لا وبهم يعمر الوجود، وتقام الحدود وتهدم أركان الجحود هدمًا، فبحياتهم تأمن البلاد وربما صادف قرب وفاتهم أن لبس القمر ليلة التم حلة السواد وأخفى جرما. ولما كان سنة من تقدم من الأئمة الخلفاء إذا خاف أن يهجم عليه الحمام هجمًا، أو تهدي إليه الأيام ألمًا وسقًا، تفويض الأمر بولاية العهد

---

(١) نقلًا عن السيوطي: حسن المحاضرة، جـ٢، ص٦٢- ٦٥.

(٢) سورة الأنبياء: من الآية (٧٩).

على الخلق لخير ذويه وبنيه نجدة وحزما، أشهد على نفسه الشريفة مولانا الإمام الحاكم -والحاكم عليه تقواه- المراقب لله في سره ونجواه، الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين، ابن عم سيد المرسلين، وارث الخلفاء الراشدين، أبو العباس أحمد بن الأمير الحسن بن الأمير أبي بكر بن الأمير علي القبي بن أمير المؤمنين الراشد بالله بن أمير المؤمنين المسترشد بالله أبي منصور الفضل بن أمير المؤمنين المستظهر بالله أبي العباس أحمد بن أمير المؤمنين أبي القاسم عبد الله بن المرحوم الذخيرة للدين، ولي عهد المسلمين محمد بن الإمام القائم بأمر الله أبي عبد الله محمد بن القادر بالله أبي العباس أحمد بن أمير المؤمنين أبي الفضل جعفر المقتدر بالله بن أمير المؤمنين المعتضد بالله أبي العباس بن الأمير محمد الموفق بالله طلحة، ولي عهد المسلمين بن أمير المؤمنين، جعفر المتوكل بن أمير المؤمنين أبي إسحاق محمد المعتصم بن أمير المؤمنين، هارون الرشيد بن أمير المؤمنين محمد المهدي أمير المؤمنين، عبد الله المنصور بن محمد الكامل بن علي السجاد بن عبد الله حبر الأمة بن العباس بن عبد المطلب، عم النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، أعز الله به الدين، وأمتع ببقاء نسله الشريف الإسلام والمسلمين؛ وهو في حالة يسوغ معها الشهادة عليه، ويرجع في الأمور المنوطة للخلافة الشريفة إليه: أنه عهد إلى ولده لصلبه الإمام المستكفي بالله أبي الربيع سليمان، شيد الله به أركان الإيمان، ونصر ببركة سلفه العصابة المحمدية على أهل الكفر والطغيان، وجعله ولي عهده، واستخلفه من بعده، لما علمه من أهليته وعدالته وكفالته، وصلاحه لذلك وكفايته، وشخصه لشهود هذا المكتوب الشريف، ونبه على استحقاقه لذلك ومحله العالي المنيف، عهدًا صحيحًا شرعيًّا، معتبرًا تامًّا مرعيًّا، وفوض إليه أمر الخلافة المعظمة تفويضًا شرعيًّا صريحًا، وعقد له عقد ولاية العهد على الأمة عقدًا صحيحًا، وقبل ذلك من القبول الشرعي المعتبر المرضي، فالله تعالى يجمع به كلمة الإسلام، ويصحبه في خلافته الشريفة رأيًا موفقا، ويقمع ببركة سلفه الكرام أهل الطغيان، ويهيئ له من أمره مرفقًا؛ بمنه وكرمه آمين".

ملحق رقم (٢)

خطاب الخليفة المستكفي بالسلطنة للمظفر الجاشنكير[١]

(إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) [٢] من عبد الله وخليفة رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – أبى الربيع سليمان بن أحمد العبّاسيّ لأمراء المسلمين وجيوشها، (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) [٣] وإنّى رضيت لكم بعبد الله تعالى الملك المظفّر ركن الدين نائبا عنى لملك الديار المصرية والبلاد الشاميّة، وأقمته مقام نفسى لدينه وكفاءته وأهليّته ورضيته للمؤمنين، وعزلت من كان قبله بعد علمي بنزوله عن الملك، ورأيت ذلك متعيّنا علىّ، وحكمت بذلك الحكّام الأربعة؛ واعلموا، رحمكم الله، أنّ الملك عقيم ليس بالوراثة لأحد خالف عن سالف ولا كابر عن كابر؛ وقد استخرت الله تعالى وولّيت عليكم الملك المظفّر، فمن أطاعه فقد أطاعني، ومن عصاه فقد عصاني، ومن عصاني فقد عصى أبا القاسم ابن عمّى صلّى الله عليه وسلّم. وبلغني أنّ الملك الناصر ابن السلطان الملك المنصور شقّ العصاة على المسلمين، وفرّق كلمتهم، وشئت شملهم، وأطمع عدوّهم فيهم، وعرّض البلاد الشاميّة والمصريّة إلى سبى الحريم والأولاد وسفك الدماء، فتلك دماء قد صانها الله تعالى من ذلك. وأنا خارج إليه ومحاربه إن استمرّ على ذلك، وأدافع عن حريم المسلمين وأنفسهم وأولادهم لهذا الأمر العظيم، وأقاتله حتّى يفيء إلى أمر الله تعالى، وقد أوجبت عليكم يا معاشر المسلمين كافّة الخروج تحت لوائي اللّواء الشريف، فقد أجمعت الحكّام على وجوب دفعه وقتاله إن استمرّ على ذلك، وأنا مستصحب معي الملك المظفّر، فجهّزوا أرواحكم، والسلام" .

---

(١) نقلًا عن ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٨، ص٢٦٣.

(٢) سورة النمل: الآية (٣٠).

(٣) سورة النساء: من الآية (٥٩).

ملحق رقم (٣)

خطاب ولاية العهد من المستكفي لابنه أحمد[١]

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، إِنَّ الَّذِينَ يُبايعُونَكَ إِنَّما يُبايعُونَ اللَّهَ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ، فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ، وَمَنْ أَوْفى بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً) [٢]، هذه بيعة رضوان، وبيعة إحسان، وجمعة رضى، يشهدها الجماعة، ويشهد عليها الرحمن، بيعة يلزم طائرها العنق، وتحوم بشائرها، وتحمل أنباءها البراري والبحار، مشحونة الطرق، بيعة يصلح الله بها الأمة، ويمنح بسببها النعمة، وتتجازى الرفاق، ويسري الهناء في الآفاق، وتتزاحم زمر الكواكب على حوض المجرة الدفاق، بيعة سعيدة ميمونة، بيعة شريفة بها السلامة في الدين والدنيا مضمونة، بيعة صحيحة شرعية، بيعة ملحوظة مرعية، بيعة تسابق إليها كل نية، وتطاوع كل طوية، ويجمع عليها شتات البرية، بيعة يستهل بها الغمام، ويتهلل البدر التمام، بيعة متفق على الاجماع عليها، والاجتماع لبسط الأيدي إليها، انعقد عليها الاجماع، فاعتقد صحتها من سمع لله وأطاع، وبذل في تمامها كل امرئ ما استطاع، حصل عليها اتفاق الأبصار والأسماع، ووصل بها الحق إلى مستحقه، وأقر الخصم وانقطع النزاع، يضمها كتاب مرقوم، يشهده المقربون، وتلقاه الأئمة الأقربون، و (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله)[٣]، (ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس)[٤]، والينا ولله الحمد وإلى بني العباس أجمع على هذه البيعة أرباب العقد والحل، وأصحاب الكلام فيما قل وجل، وولاة الأمور والحكام، وأرباب المناصب والأحكام، وحملة العلم والأعلام، وحماة السيوف والأقلام، وأكابر بني عبد مناف، ومن انخفض قدره وأناف، وسروات قريش،

---

(١) نقلًا عن ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، جـ٢٤، ص٣٢٠ -٣٢٢.

(٢) سورة الفتح: من الآية (١٠).

(٣) سورة الأعراف: من الآية (٤٣).

(٤) سورة يوسف : من الآية (٣٨).

ووجوه بني هاشم، والبقية الطاهرة من بني العباس، وخاصة الأئمة، وعامة الناس، بيعة ترى بالحرمين خيامها، وتخفق بالمأزمين أعلامها، وتتعرف عرفات بركاتها، وتعرف بمنى، ويؤمن عليها يوم الحج الأكبر، ويؤم ما بين الركن والمقام والقبر، ولا ينبغي بها إلا وجه الله الكريم..... بيعة لا يحل عقدها، ولا ينبذ عهدها، لازمة جازمة، دائبة دائمة، تامة عامة، شاملة كاملة، صحيحة صريحة، متعبة مريحة، [ولا من يوصف بعلم] ولا قضاء ولا من يرجع إليه في إيقاف ولا إمضاء، ولا إمام مسجد ولا خطيب، ولا ذو فتوى يسأل فيجيب، ولا من جنبي المساجد، ولا من تضمهم أجنحة المحاريب، ولا من يجتهد في رأي فيخطئ أو يصيب، ولا محدث بحديث، ولا متكلم في قديم أو حديث، ولا معروف بدين وصلاح، ولا فرسان حرب وكفاح، ولا راشق بسهام، ولا طاعن برماح، ولا ضارب بصفاح، ولا ساع بقدم، ولا طائر بجناح، ولا مخالط للناس، ولا قاعد في عزلة، ولا جمع كثرة ولا قلة، ولا من يستقل بالجوزاء لواؤه، ولا من يقل فوق الفرقد ثواؤه، ولا باد ولا حاضر، ولا مقيم ولا سائر، ولا أول ولا آخر، ولا مسرّ في باطن، ولا معلن في ظاهر، ولا عرب ولا عجم، ولا راعي أبل ولا غنم، ولا صاحب أناة ولا بدار، ولا ساكن في حضر وبادية بدار، ولا صاحب عمد ولا جدار، ولا ملجلج في البحار الزاخرة، والبراري القفار، ولا من يتوقل صهوات الخيل، ولا من يسبل على العجاجة الذيل، ولا من تطلع عليه شمس النهار، ونجوم الليل، ولا من تظله السماء وتقله الأرض، ولا من تدل عليه الأسماء على اختلافها، وترفع درجات بعضهم على بعض، حتى أمن بهذه البيعة وأمّن عليها، وأمن بها، ومنّ الله عليه وهداه إليها وأقرّ بها وصدق، وغضّ له بصره خاشعا، وأطرق ومد إليها يده بالمبايعة، ومعتقده بالمتابعة، ورضي بها وارتضاها، وأجاز حكمها على نفسه، وأمضاها، ودخل تحت طاعته، وعمل بمقتضاها، وقضى بينهم بالحق، وقيل الحمد لله رب العالمين".

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر العربية:-

الإدفوي (أبو الفضل كمال الدين ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)

(١) الطالع السعيد في نجباء أهل الصعيد، تحقيق: سعد محمد حسن، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦.

ابن إياس: ابن إياس (محمد بن أحمد الحنفي ت ٩٣١هـ/ ١٥٢٤م):

(٢) بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ط الأولى، ١٩٧٥م.

(٣) عقود الجمان في وقائع الأزمان، حوادث وتراجم (٦٤٨- ٩٠٤هـ/ ١٢٥٠- ١٤٩٨م)، تحقيق: أحمد سعيد بدير، سلسلة التراث الحضاري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٢٤م، ص١٥٧.

ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م):

(٤) تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأخبار، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، المغرب، ١٩٩٦م.

البغدادي (صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ت ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م):

(٥) مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٩٩١م.

البكري:(عبد الله بن عبد العزيز بن محمد ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م):

(٦) المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م.

بيبرس الدَّوَادَار (ركن الدين بيبرس المنصوري ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م):

(٧) التحفة الملوكية في الدولة التركية، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط الأولى، ١٩٨٧م.

(٨) زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق: دونالد س . ريتشارد، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت لبنان، ط الأولى، ١٩٩٨م.

(٩) مختار الأخبار " تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية "، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط الأولى، ١٩٩٣م.

ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م):

(١٠) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د . ت.

(١١) مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز، دار الكتب المصرية، القاهرة، د . ت.

(١٢) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، القاهرة،١٩٦٣م.

ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد ت ٦١٤هـ / ١٢١٢م):

(١٣) رحلة ابن جبير، المسماة: " تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار"، دار مكتبة الهلال، بيروت، د . ت.

ابن الجزري(شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ت٧٣٨هـ/١٣٣٨م):

(١٤) تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، المعروف بـ " تاريخ ابن الجزري "، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠٦م

ابن الجوزي(جمال الدين أبوالفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد ٥٩٧هـ/١٢٠٠م):

(١٥) تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٩٩٧م.

ابن حجر العسقلاني (أحمد بن محمد بن علي ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م):

(١٦) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م.

الحميري (محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م):

(١٧) الروض المعطار في خبر الأقطار. مؤسسة ناصر، بيروت، لبنان، ط الثانية، ١٩٨٠م.

ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلي ت ٣٦٧هـ/ ١٩٧٧م):

(١٨) صورة الأرض، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٣٨.

ابن خلدون (ولي الدين بن عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م):.

(١٩) العبر وديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحاده، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط الثانية، ١٩٨٨.

ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م):

(٢٠) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٩٩٤م.

ابن دقماق: (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي ت٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م)

(٢١) الجوهر السمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق: سعيد عاشور، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٢م، ص١٨٨.

(٢٢) الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ذخائر التراث العربي، المكتب التجاري للنشر، بيروت، لبنان، ١٩٧٨م.

الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)

(٢٣) دول الإسلام، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م.

(٢٤) سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م.

(٢٥) العبر في خبر من غبر، تحقبق: محمد السعيد بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د . ت.

ابن رافع: (تقي الدين محمد بن هجرس ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م)

(٢٦) الوفيات، تحقيق: صالح مهدي، وبشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٩٨٢م .

السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م):

(٢٧) وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق: د/ بشار عواد معروف وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٩٩٥م.

السيوطي (جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م):

(٢٨) تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط الأولى، ٢٠٠٣م.

(٢٩) حسن المحاضرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، طـ الأولى، ١٩٦٧م.

الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م):

(٣٠) أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: علي أبو زيد، وآخرين، دار الفكر المعاصر، بيروت بالاشتراك مع دار الفكر المعاصر ، دمشق، طـ الأولى، ١٩٩٨م.

(٣١) الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.

ابن العماد (عبد الحي بن أحمد بن محمد ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٩م):

(٣٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق بالاشتراك مع بيروت، ط الأولى، ١٩٨٦م.

العيني (بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م):

(٣٣) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م.

أبو الفدا (إسماعيل بن على بن محمود ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م):

(٣٤) تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، د. ت.

(٣٥) المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية، القاهرة طـ الأولى، د . ت.

ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيى ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م):

(٣٦) مسالك الأبصار وممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

القرماني (أحمد بن يوسف ت ١٠١٩هـ / ١٦١٠م):

(٣٧) أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تحقيق: أحمد حطيط وآخرين، عالم الكتب، بيروت، لبنان، طـ الأولى، ١٩٩٢م.

القزويني (زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م):

(٣٨) آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، لبنان، د. ت.

القلقشندي (أبو العباس أحمد بن على بن أحمد ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م):

(٣٩) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د . ت.

كاتب مراكشي:

(٤٠) الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشئون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦م.

الكرمي (مرعي بن يوسف ت ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م):

(٤١) نزهة الناظرين في من ولي مصر من الخلفاء والسلاطين، تحقيق: أميرة محمد فهمي، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، د. ت .

ابن كثير (أبو الفدا إسماعيل بن عمر ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م):

(٤٢) البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، طـ الأولى ، ١٩٨٨م.

الكندي (أبو عمرو محمد بن يوسف ت٣٥٠/٩٦١م):

(٤٣) الولاة القضاة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، طـ الأولى، ١٩٨٧م.

المقريزي (تقي الدين أبو العباس أحمد بن على ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م)

(٤٤) السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طـ الأولى، ١٩٩٧م.

(٤٥) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م .

الملواني (محمد بن يوسف توفي بعد سنة ١١٢٨هـ / ١٧١٦م):

(٤٦) تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، تحقيق: عبد الرحيم عبدالرحمن عبد الرحيم، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٩٦٨م.

ناصر خسرو(أبو معين الدين المروزي ت ٤٨١ه/ ١٠٨٨م):

(٤٧) سفر نامه، تحقيق: يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، طـــ الثالثة، ١٩٨٣م.

النويري (شهـــاب الدين أحمد بن عبد الوهـــاب ت ٧٣٣هـــ/ ١٣٣٣م):

(٤٨) نهـــاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: نجيب مصطفى فواز وآخـــرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طـــ الأولى، ٢٠٠٤م.

ابن الوردي (زين الدين عمر بن مظفر بن عمر ت ٧٤٩هـــ/ ١٣٤٨م):

(٤٩) تتمة المختصر، المعروف بـــ " تاريخ ابن الوردي "، دار الكتـــب العلميـــة، بيروت، لبنان، طـــ الأولى، ١٩٩٦م.

اليافعي (عبد الله بن أسعد بن على بن سليمان ت ٧٦٨هـــ/ ١٣٦٦م):

(٥٠) مرآة الجنان وعبرة اليقظان، دار الكتب العلمية، بيروت، طـــــــ الأولى، ١٩٩٧م.

ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ت ٦٢٦ه/ ١٢٢٩م)

(٥١) معجم البلدان، دار صادر بيروت، لبنان، طـــ الثانية، ١٩٩٥م.

اليعقوبي (أحمد بن إسحاق بن جعفر ت ٢٩٢ه/٩٠٥م تقريبًا):

(٥٢) كتاب البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، ٢٠٠١م.

اليوسفي: (موسى بن محمد بن يحيى اليوسفي ت ٧٥٩هـــ/ ١٣٥٨م)

(٥٣) نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق: أحمد حطيط، عـــالم الكتـــب، بيروت، لبنان، طـــ الأولى، ١٩٨٦م.

ثانياً: المراجع العربية:-

حسان حلاق (دكتور):

(٥٤) المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط الأولى ١٩٩٩م.

جان كلود جارسان:

(٥٥) ازدهار وانهيار حاضرة مصرية قوص، ترجمة: بشير السباعي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، طـــ الأولى، ٢٠١٢.

جمال الدين الشيال (دكتور):

(٥٦) تاريخ مصر الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، طـــ الثانية، ٢٠٠٧م.

الخربوطلي: علي حسني (دكتور):

(٥٧) غروب الخلافة الإسلامية، مؤسسة المطبوعات الحديثة، القاهرة، د. ت.

خير الدين الزركلي:

(٥٨) الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣.

سعيد عاشور (دكتور):

(٥٩) نظم الحكم والإدارة في عصر الأيوبيين والمماليك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، القاهرة، طـــ الأولى، ١٩٨٧.

فؤاد عبد المعطي الصياد (دكتور):

(٦٠) الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، قطر، ١٩٨٧م.

قاسم عبده قاسم (دكتور):

(٦١) عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية، القاهرة، طـــ الأولى، ١٩٩٨م.

محمد أحمد الدهان (دكتور):

(٦٢) معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيـــروت، لبنان، ط الأولى ١٩٩٠م.

محمد جمال الدين سرور (دكتور):

(٦٣) دولة بني قلاوون في مصر، الحالة السياسية والاقتصادية في عهدها بوجـــه خاص، دار الفكر العربي، القاهرةـــ د . ت.

(٦٤) دولة الظاهـــر بيبرس في مصر، دار الفكر العربي، القاهـــرة، ١٩٦٠م.

محمد عبده الحجاجي:

(٦٥) قوص في التاريخ الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٨٢م.

محمد عبد العظيم (دكتور):

(٦٦) العلماء في مصر في العصر المملوكي، دار الفكر العربي، القاهرة، طـــــــ الأولى، ٢٠١٤م.

محمود أحمد شاكر:

(٦٧) التاريخ الإسلامي، (العهد المملوكي)، المكتب الإسلامي، بيـــروت، طـــــــ الخامسة، ٢٠٠٠م.

محمود رزق سليم:

(٦٨) عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، دار الحمـــامي للطباعـــة، القاهرة، طـــ الثانية، ١٩٦٥م .

هاني حمزة:

(٦٩) مصر المملوكية، القاهرة، ٢٠٠٦م.

ثالثا: الرسائل العلمية والدوريات:-

إسماعيل أحمد الدردير (دكتور):

(٧٠) الصراع على السلطة في عصر سلاطين المماليك وآثاره السياسية والاقتصادية، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، أسيوط، مصر، ٢٠٠٥م.

عادل عبد الحافظ حمزة (دكتور):

(٧١) الخلافة والسياسة في مصر عصر دولة المماليك البحرية(٦٤٨- ٧٨٤هـ/ ١٢٥٠- ١٣٨٢م)، مجلة التاريخ والمستقبل، حولية كلية الآداب، جامعة المنيا، عدد يوليه، ٢٠١٣م.

عبد الفتاح يوسف عرابي:

(٧٢) قوص في عصر سلاطين المماليك(٦٤٨- ٩٢٣هـ/١٢٥٠- ١٥١٧م)، رسالة ماجستير، (غير منشورة)، كلية الآداب بسوهاج، جامعة أسيوط، ١٩٩٠م.

عبد المجيد أبو الفتوح بدوي (دكتور):

(٧٣) الخلفاء العباسيون في ظل دولة المماليك، حوليات كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر، العدد الثامن، ١٩٧٧، ١٩٧٨م.

عثمان إسماعيل الطل:

(٧٤) عقوبة النفي في العصر المملوكي(٦٤٨- ٩٢٣هـ/١٥١٦- ١٢٥٠م)، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة نواكشط، موريتانيا، العدد (٥٢)، ٢٠٢١م.

نجوى كيرة:

(٧٥) صراع السلطة في عصر سلاطين المماليك(٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م)، المجلة التاريخية المصرية، تصدر عن الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة ، مصر، مج(٤٦)، ٢٠٠٨/ ٢٠٠٩م.

تم بحمد الله وتوفيقه

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	١٨٤١
٢-	Abstract	١٨٤٢
٣-	مقدمة	١٨٤٣
٤-	تمهيد	١٨٤٥
٥-	المبحث الأول: مدينة قوص من حيث الموقع والأهمية	١٨٤٨
٦-	المبحث الثاني: الخليفة المستكفي بالله العباسي في القاهرة	١٨٥٤
٧-	المبحث الثالث: سوء العلاقة بين الطرفين وإبعاد الخليفة إلى قوص	١٨٥٨
٨-	المبحث الرابع: الآثار المترتبة على إقامة الخليفة في قوص:	١٨٧٢
٩-	الخاتمة	١٨٧٦
١٠-	الملاحق	١٨٧٨
١١-	قائمة المصادر والمراجع	١٨٨٣
١٢-	فهرس الموضوعات	١٨٩٢